مجلة شعرية

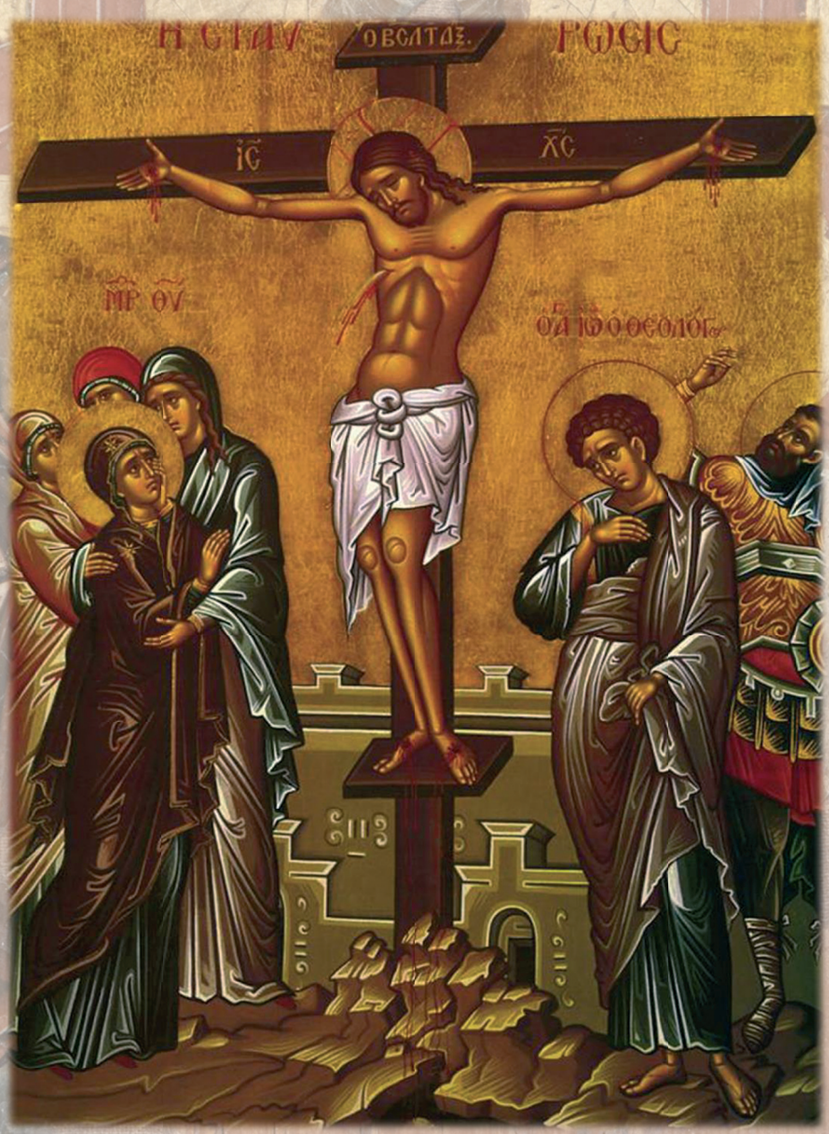
Issue No: 193 :عدد
September 2023 شهر أيلول

نـــــــور المسيح يسوع الـمسيـــــح
ΧΡΙΣΤΟΥ الغالب Σ Ω Φ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

رفع الصليب الكريم المُحيي



يا والدة الإله أنت الفردوس السِّري إذ أنك أنبت المسيح بغير فلاحة
الذي منه نصبت في الأرض شجرة الصليب الحاملة الحياة
فالآن إذ نسجد له مرفوعًا إياك نعظم

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة تدشين كنيسة ميلاد والدة الإله في مدينة سخنين

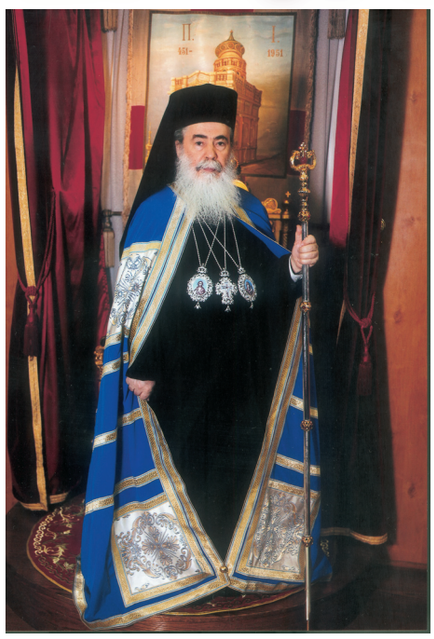
(٨ أيلول شرقي، ٢١ أيلول ٢٠٢٢)

«مَا أَحْب مَسَاكِنَكَ يَا رَبَّ الْقوات! تَشْتَاقُ نَفْسِي وتَنُوقُ إِلَى دِيَارِ الرَّبِّ. قَلْبِي وَجسمي ابتهجا بِالإِلهِ الْحَيِّ.» (مزمور 83: 2-3).

أيها الإخوة المحبوبون في المسيح

أيها المسيحيُّون والزُّوار الأتقياء

لقد رفعنا المجد والشُّكر للهِ الواحد الأقانيم، الذي أهَّلنا أنْ نُتمِّم تدشين هذه الكنيسة العظيمة في مدينتكم الجميلة سخنين والتي دُشنت **لإكرام وتذكار ميلاد سيدتنا والدة الإله الدائمة البتولية مريم**، ونحن مع القديس اندراوس الأورشليمي ناظم التسابيح نرنم ونقول: «إنَّ فيكِ يُسبَّحُ ويُمجَّدُ سِرُّ الثالوث يا طاهرة، فالآب سُرَّ وارتضى والكلمة حلَّ بيننا والرُّوح الإلهيُّ ظلَّلك.»



إنَّ الرُّوح الإلهي الذي ظلَّل العذراء مريم، فجعلها هيكلًا حيًّا لكلمة الله، نتضرَّع لها نحن أنْ تُظلِّل هي بيت الله هذا.

يقول الرَّبُّ: « اَللهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا» (يو٤: ٢٤)، هذا البيت هو مكانٌ مقدَّسٌ حيث نحن واقفون فيه، إنَّه أرضٌ مقدَّسةٌ، أي مكان عبادة واجتماع حيث يقول الرسول: «سأُخَبِّرُ بِاسْمِكَ إِخْوَتِي، وَفِي وَسَطِ الْكَنِيسَةِ أُسَبِّحُكَ » (عب ٢: ١٢)، والذي بحسب سفر عزرا، الموحى له بالرُّوح: « وَالآنَ كَلُحَيْظَةٍ كَانَتْ رَأْفَةٌ مِنْ لَدُنِ الرَّبِّ إِلهِنَا لِيُبْقِيَ لَنَا نَجَاةً وَيُعْطِيَنَا وَتَدًا فِي مَكَانِ قُدْسِهِ، لِيُنِيرَ إِلهُنَا أَعْيُنَنَا وَيُعْطِيَنَا حَيَاةً قَلِيلَةً فِي عُبُودِيَّتِنَا (أي أهوائنا).» (عزرا ٩: ٨)، وبحسب قول مخلصنا المسيح: «أَنَّهُ حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلاَثَةٌ بِاسْمِي فَهُنَاكَ أَكُونُ فِي وَسْطِهِمْ» (متى ١٨: ٢٠).

إنَّ ابن الله وكلمته عند تدبير تجسُّده الإلهي، أنارَ كُلَّ البرايا. وَجَدَّد العالمَ بروحهِ الإلهي. وأيضًا النفوسُ تتجدَّدُ الآن. لأنَّهُ كُرِّسَ الآن بيتٌ لمجدِ الرَّبِّ وجلالِه. فيه يُجَدِّدُ المسيحُ إلهنا قُلوبَ المؤمنين لخلاصِ البشر. هذا ما يقولُه مرنّمُ الكنيسة.

في كل يوم نُسبِّح ونبارك مجد الثالوث القدُّوس هذا، وَوَحْدَةِ الإيمان في المسيح، وشركة الرُّوح القُدُس في مسكن مجد الرَّبِّ المقدس هذا المُشَيَّدُ جديدًا، أي هذه الكنيسة التي كُرست لإكرام **ميلاد والدة الإله الفائقة البركات والدائمة البتوليَّةِ مريم** .

ولنسمع ما يتفوه به القديس سرجيوس الأورشليمي إذ يقول عنها: «هلُمّوا يا جميع المؤمنين نسعَ نحو العذراء مسرعين، فإنَّ التي سبق تحديدها أُمًّا لإلهنا قبل تَصوُّرها في البطن، وهي ذخيرة البكارة، وعصا هارون المُفرعة من جذر يسَّى، وكرازة الأنبياء، ونبتة يواكيم وحنة الصدِّيقَيْن؛ اليوم تُولد أم إلهنا؛ والعالم يتجدَّد معها، هي تولَد الآن، والكنيسة تتسربل حُلل البهاء؛ فإنها الهيكل المقدس، ومستودع اللاهوت، وركن البكارة، والخدر الملوكيُّ؛ وبها تمّ سِرُّ الاتحاد الغريب بين الطبيعتين في المسيح، الذي نسجد له مسبّحين مولد العذراء البريء من كُلِّ العيوبِ.»

ها هو مجدَ وغِنَى جسد الكنيسة الإلهيّ البشريّ، وقداسته الأرضيَّة والتي يتحدَّث عنها مرنم الكنيسة: « لقد ظهرت الكنيسة سماءً كثيرة الأنوار تُنير كُلَّ المؤمنين، ونحن في وقوفنا الآن فيها نصرخ قائلين ثَبِّت يا ربُّ هذا البيت.»

حقًّا إنَّ الكنيسة تنير بقوَّةِ الرُّوح القُدُس جميع المؤمنين، وذلك لأنَّهُ كما يقول الرسول بطرس: «وَإِلهُ كُلِّ نِعْمَةٍ الَّذِي دَعَانَا إِلَى مَجْدِهِ الأَبَدِيِّ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، بَعْدَمَا تَأَلَّمْتُمْ يَسِيرًا، هُوَ يُكَمِّلُكُمْ، وَيُثَبِّتُكُمْ، وَيُقَوِّيكُمْ، وَيُمَكِّنُكُمْ.» (١بط٥: ١٠)، وعدا عن هذا فإنَّنا مدعوُّون إلى بيت الله: «لِتَقْدِيمِ ذَبَائِحَ رُوحِيَّةٍ مَقْبُولَةٍ عِنْدَ اللهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ.» (١بط٢: ٥)، «لأَنَّ الذَّبِيحة للهِ روحٌ منسحق، الْقَلْبُ الْمُنْكَسِرُ وَالمتواضع لا يرذله اَللهُ.» (مز٥٠: ١٥)؛ كما يقول صاحب المزمور. وأما القديس الرسول بولس فإنه يرجونا قائلًا:« فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللهِ أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ، عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ.» (رومية١٢: ١)، وذلك لأنَّ كنيسة الله هي مكان عبادة، أي هي مكان مناجاة سرِّيَّة بين الله والإنسان كما هو مكتوب في الكتاب المقدس: «وَيُكَلِّمُ

الرَّبُّ مُوسَى وَجْهًا لِوَجْهٍ، كَمَا يُكَلِّمُ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ» (خروج ٣٣: ١١). وبكلام آخر إنَّ بيت الله هو مكان صلاة، وبحسب القديس يوحنا السلميّ: «فإن الصَّلاة في كُنْهِهَا هي اجتماع واتحاد الإنسان بالله، وفي فعلها هي مصالحة مع الله، غذاء النفس، استنارة الذهن، دليل الرَّجاء وزوال الحزن.»

وبمناسبة هذا العيد والاحتفال باليوم التاريخي لمدينة سخنين وسكانها فإنَّنا ننتهز هذه الفرصة لكي نُبدي الإعجاب حقًّا لبيت الله هذا المدَشَّن للعبادة، والذي شُيِّدَ **بمبادرة أبناء رعيَّة الروم الأرثوذكس الأتقياء المحبين لله، والذين يحيَون في سلام ووئام مع أبناء بلدهم من الأديان الأخرى**، وعلى هذا فإنَّنا نفتخر بالمسيح ونُردِّد مع الرسول بولس قائلين: «نَفْتَخِرُ عَلَى رَجَاءِ مَجْدِ اللهِ. وَلَيْسَ ذلِكَ فَقَطْ، بَلْ نَفْتَخِرُ أَيْضًا فِي الضِّيقَاتِ، عَالِمِينَ أَنَّ الضِّيقَ يُنْشِئُ صَبْرًا، وَالصَّبْرُ تَزْكِيَةً، وَالتَّزْكِيَةُ رَجَاءً.» (رو ٥: ٢-٤).

إنَّ الغيرة الإلهيَّة المُتَّقِدَة، وَتَقْوَى وإيمان شعب الله لشخص والدة الإله وأم الله، التي بها تقترن الأرضيَّات بالسماويات، والتي بها جَدَّدَ المسيح الإله جبلتنا نحن الأرضيِّين، فأعادنا من البِلَى إلى الحياة الخالدة وَأَلَّهَنَا بِقواه غير المخلوقة، قد بنت لها بيتًا مقدَّسًا، أي كنيسة للصلاة حيث فيه يُغترَفُ من فيض نعمةِ الرُّوح القُدُس الإلهيَّة غير المنظورة.

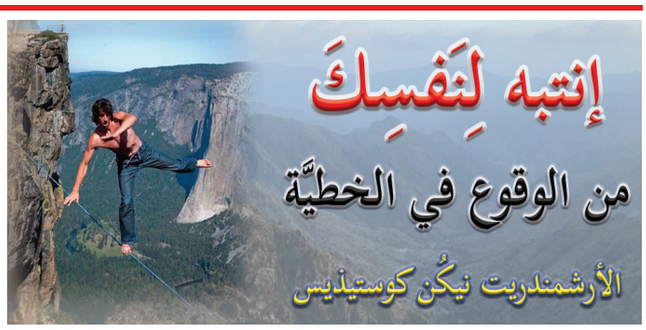
لهذا فإنَّنا نُعَبِّر عن شكرنا وعظيم امتناننا، لكُلِّ الذين تعاونوا بشتَّى وكافة الطرق المختلفة، وساهموا من أجل إنشاء هذا العمل العظيم المهم، ونتوجَّهُ بشكلٍ خاص: لرئيس بلديَّة سخين وجميع أعضائها فردًا فردًا، وأيضًا لصاحب الذِّكر المغبوط المرحوم سعيد خوري، ولابنه محبوبنا السَّيد سمير خوري، ولإخوتنا في الكنيسة الرُّوسيَّة وللمؤسسات الرُّوسيَّة الخيريَّة. وختامًا نتوجَّه لطبيب الأسنان الذي لا يكِلُّ ولا يعرف تعبًا، السَّيِّد ماجد غنطوس وافراد عائلته الكريمة.

وليكن هذا العمل الجدير بكل مديح لأجلِ مجدِ اللهِ ومفخرة لمدينة سخنين ولشعبها المحب للسَّلام، «فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ.» (متى ٥: ١٦)، وليكن أيضًا بيت عبادة الله أي هذه الكنيسة رمزًا وعلامةً للإيمان والحبِّ والرَّجاءِ والأملِ والسلام والعدل والأمن. «لأَنَّ اللهَ لَيْسَ إِلهَ تَشْوِيشٍ بَلْ إِلهُ سَلاَمٍ، كَمَا فِي جَمِيعِ كَنَائِسِ الْقِدِّيسِينَ.» (١كور ١٤: ٣٣)، كما يكرز الرسول بولس.

نشكر إلهنا وربنا يسوع المسيح ونقول: أيُّها المسيح. النُّورُ الحقيقيُّ الذي يُنيرُ ويقدِّسُ كلَّ إنسانٍ آتٍ إلى العالَم لِيَرْتَسِمَ علَينا نورُ وَجهِكَ. لِنُبْصِرَ بِهِ النُّورَ الَّذي لا يُدنَى منه، سَدِّدْ خَطَواتِنا إلى العمَلِ بوَصاياكَ. بشفاعةِ والدتِكَ الكاملةِ الطَّهارَةِ وجميعِ قِدِّيسيكَ. آمين.



الداعي لكم بحرارة بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم



إنَّ وحدةَ النَّفس والفِكر هي ما يجعل وجودنا البشري خاصًا. لم يكن هناك يومًا أيُّ إنسانٍ مثلك تمامًا، ولنْ يكون هناك أبدًا. كُلُّ واحدٍ منَّا فريدٌ وغيرُ قابل للتقليد عبر تاريخ الجنس البشريّ بأكمله.

طبعًا هناك مَن يثير فكرة أنَّ أحدًا ليس قابلًا للاستبدال، وهذا خطأ. إذا كُنَّا نقصد العمل فلا نعني عن استبدال بل عن تعاقب في العمل، يمكن استبدال الناس، أما في وجودنا الخاص فهناك لا يمكن استبدالنا.

لهذا السبب بالذَّات يقول المسيح في الإنجيل عن قيمة نفسنا: «لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟» (متى ١٦: ٢٦).

كتذكيرٍ يُعينُنا في وضع نفسنا في المكان المناسب بحسب مشيئة الله، لننظر ماذا يقول **القديس باسيليوس الكبير** في تفسيرهِ لقولِ العهد القديم: «احْتَرِزْ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَعَ قَلْبِكَ كَلاَمٌ لَئِيمٌ» (تثنية ١٥: ٩):

انتبه لنفسك لا لأشيائِكَ، ولا لما هو حولك. نحن نفسٌ وفكرٌ. جسدنا وأحاسيسه ملكٌ لنا. ما حولنا هو المال، الفنون، وكل ما تبقى من مكوّنات الحياة. لذا انتبه على أنْ يبقى كُلُّ **تلوُّث بالخطيئة** بعيدًا عن نفسِكَ، وبالمقابل زيِّنها بِكُلِّ فضيلة..

انتبه لنفسك حتى تستطيع أنْ تُميِّزَ صحة نفسك من مرضها بسبب الخطيئة. هل الخطيئة عظيمة وثقيلة؟ أنت تحتاج إلى الاعتراف والصوم والتوبة. إذا كانت المخالفة صغيرة فيجب أنْ تكون التوبة على نفس القياس.

انتبه لنفسك عندما يكون كُلُّ شيء في حياتك يسير على ما يرام وجميلًا، لأنَّ في هذا خطر أنْ تتكبَّر وَتَزْهُو. رَدِّدْ دائمًا ما قاله العشَّار: «يَا رَبُّ ارْحَمْنِي، أَنَا الْخَاطِئَ» (لو ١٨: ١٣).

انتبه لنفسك عندما لا تسير الحياة حسنًا معك، إذْ عندها تكون في خطر اليأس والقنوط الرُّوحي. تَذَكَّر أنَّكَ مخلوقٌ على صورة الله، فلديك قدرة روحيَّة لا كالآخرين. لذا قُلْ: «ربِّي أَعِنِّي».

لننتبه لنفوسنا حتى نمتلئ من فرح **ربنا يسوع المسيح** وسلامه.



ميلاد والدة الإله الكليَّة القداسة والدائمة البتوليَّةِ مريم

ميلاد والدة الإله الفائقة القداسة والدَّائمة البتوليَّةِ مريم:

«لأَنَّ الْقَدِيرَ صَنَعَ بِي عَظَائِمَ، وَاسْمُهُ قُدُّوسٌ». (لوقا ١:٤٩)

حياةُ العذراء مريم هي خير شرح لهذه الآية، وحياة والدة الإله هي أفضل مثال لنا نحن البشر.

إنسانةٌ مثلنا تقدَّست بالنِّعمةِ وولدت الإله. يا له من سرٍّ عظيمٍ يفوق كُلَّ العقول.!!! عذراء تصبح والدة الإله. وحدها هذه العبارة يكمن فيها: «كُلُّ سِرٍّ تدبير الخلاص» (القدّيس يوحنا الدمشقي).

بالمقابل يقول القدّيس نيقولاس كاباسيلاس (نحو ١٣٢٠ – ١٣٦٣):

« نَظَرَ اللهُ من العلى إلى الأرض، فرأى إنسانة طاهرة نقيَّة متواضعة، فلم يستطع إلَّا أنْ يتجسَّد منها». تواضع العذراء مريم جذب الله.

لُبُّ الموضوع. طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ، لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللهَ. (متى ٥:٨).

فهي لم تعاين الله فحسب، بل حملته في أحشائها. وهكذا بمسيرتها تتحقَّق أقوال الأنبياء بخلاص الله الموعود للبشر. الله يصبح إنسانًا.

الكنيسة تحتفل بميلاد السَّيِّدة لأنَّ فيها تمَّ القصد الإلهيّ بخلاص البشر. من ميلادها نأخذ عبرةً أنَّ: «كُلُّ مولود بشري مشروع قداسة وحامل للإله»، إذا هو أراد طبعًا.

تُقيم الكنيسة الأرثوذكسِيَّة لوالدة الإله أكثر من عيد في السنة.

ولكن يجب أنْ نُدرك جيِّدًا أنَّ كُلَّ الأعياد الأساسِيَّة (وهي اثنا عشر ما عدا الفصح) في الكنيسة الأرثوذكسِيَّة، الثابتة والمنتقلة هي أعياد سيِّديَّة لأنها تتمحور حول الرَّبِّ يسوع المسيح وترتبط به. فهي تُدعى سيِّديَّة لأنَّها من كلمة سيِّد وليس من كلمة سيِّدة. حتى عيد ميلاد والدة الإله، وعيد دخول السيِّدة إلى الهيكل وعيد البشارة وعيد رقاد والدة الإله والتي هي من ضمن الأعياد الاثني عشر هي أعياد سيِّديَّة مرتبطة بالرَّبِّ مع أنَّها تُدعى أعياد والدِيَّة.

الجديرُ بالملاحظةِ أنَّ عيد ميلاد والدة الإله (الثامن من أيلول شرقي) هو أوَّل عيد سيِّدي في الكنيسة الأرثوذكسِيَّة بحيث تبدأ السنة الطقسِيَّة في أوَّل شهر أيلول شرقي، وكذلك عيد رقاد والدة الإله هو آخر عيد سيِّدي ويقع في الخامس عشر من شهر آب شرقي.

وكأنَّ الكنيسة الأرثوذكسِيَّة في ذلك أرادت أنْ تقول إنَّ والدة الإله الأم التي حملت في أحشائها الضَّابطَ الكُلِّ، تحمل في أحشائها دورة أعيادنا الليتورجيَّا كلَّها من أوَّلها إلى نهايتها.

كيف لا، وهي الأمُّ الحاضنة التي كُلَّما نظرنا إلى أيقونتها تنظر هي في وجهنا لتقول: «لِنُهَلِّلْ سويًّا للرَّبِّ يسوع المسيح، إنّه المخلّص الوحيد. إلهي وإلهكم، مخلّصي ومخلّصكم.»

ومع ولادة مريم تبدأ بشائر الفرح وتحقيق الوعد الخلاصي. فهذه الطفلة ستكون والدة الإله. ولكن، ليس باختيار مُسبق ولا بتمييز بين الخلائق البشريَّة، بل بتواضعها ونقاوتها وعشقها لله. فهي التي قالت: «تُعَظِّمُ نَفْسِي الرَّبَّ، وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللهِ مُخَلِّصِي،لأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى اتِّضَاعِ أَمَتِهِ.» (لوقا ١:٤٦–٤٨).

فلا أحد من البشر يولد خاطئًا. أجل، كُلُّنا مُعَرَّضُون للخطيئة بسبب ضعف الطبيعة البشريَّة، إلَّا أنَّنا ورثنا نتائج الخطيئة الجدِّيَّة بعد سقوط آدم وحواء، من غير أنْ نرث الخطيئة نفسها. في هذا، وُلِدَت العذراء مريم كسائر البشر، من دون تمييز، وتغلَّبت على مختلف التجارب بعشقها لله والتصاقها به. نحن إذًا مدعوُّون لنحذو حذوها ونتَّخذها مثالًا. فإنَّ من يتَّحد باللهِ وبنعمته يغلب جميع أنواع الخطايا. فالخطيئة ليست أقوى من الإنسان بتاتًا مهما تكبر وتثقل، بل هي مغلوبة بنور المسيح غير المخلوق. وهذا يُذكِّرنا بما قاله الله لقايين منذ بدء سفر التكوين:«...فَعِنْدَ الْبَابِ خَطِيَّةٌ رَابِضَةٌ، وَإِلَيْكَ اشْتِيَاقُهَا وَأَنْتَ تَسُودُ عَلَيْهَا» (تكوين ٤:٧)، فعبارة: «وَأَنْتَ تَسُودُ عَلَيْهَا» هي لِكُلِّ واحدٍ منَّا، فنحن نسود على الخطيئة بثباتنا بالله.

مع ميلاد مريم تبتدئ رحلة عودتنا إلى الملكوت. ومع رقادها وانتقالها إلى السماء يتحقَّق ما قاله الرَّبُّ يسوع لنا: «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا» (يو١١:٢٥). فنحن خُلقنا لنكون قياميِّين بالقائم أبدًا ودائمًا.

تاريخ العيد:

يعود أصل العيد إلى أواسط القرن الخامس في أورشليم حينما كُرِّست كنيسة على اسم والدة الإله مريم قرب البرَكةِ الغنمِيَّة أو بركة بيت حَسْدَا في أورشليم.

من أورشليم انتقل الاحتفال بعيد ميلاد العذراء في القرن السادس إلى

القسطنطينيّة حيث وضع القدّيس رومانوس المرنّم التراتيل الخاصة بهذا العيد وما زلنا نُصلّي بعضها في طقوسنا.

من الشرق انتقل العيد إلى الغرب في عهد البابا سيرجيوس الأول (٦٨٧-٧٠١) الأنطاكيّ الأصل، (وُلِدَ في صقليّة من عائلة سوريّة).

لا يَذْكُر العهد الجديد شيئًا عن طفولة مريم، ولا عن مولدها أو رقادها، ذلك أنَّ هدف الأناجيل هو البشارة **بالرَّبِّ يسوع** الإله المتجسّد وبالتدبير الخلاصيّ من أعمالٍ وتعاليم.

لكنّ التسليم الكنسي الّذي حَفِظَ مكانَةً خاصَّة لوالدة الإله يذكر أنَّ ولادتها تمَّت بِتَدَخُّل إلهيّ مُباشر، كما حصل مع عددٍ من الأشخاص في العهد القديم: كإسحق ابن إبراهيم، وشمشون وصموئيل ويوحنا المعمدان. ذلك كلُّه ضمن سِرِّ التدبير الخلاصيّ.

من اكثر المصادر إنجيل يعقوب المنحول. وهنا نَلفت أنّ الأناجيل المنحولة ليست كلّها هرطوقيَّة وفاسدة، بل منها ما هو مفيد، ولكنَّ الكنيسة لم تُدْرِجْهُ في الكتاب المقدّس لأنَّهُ لا يرتبط بالخلاص مباشرة، ومنها ما هو كاذب وهدفه الإساءة إلى الكنيسة كإنجيل يهوذا. وقد شرح الآباء القدّيسون الذي صادقوا على تعاليم الكنيسة كُلَّ هذه الأمور، وليس من شيء مخفيٍّ على أحد. فكُلُّ هذه الأمور مدوَّنة من القرون الأولى للمسيحيَّة.

فقد ورد في «إنجيل يعقوب المنحول» أنَّ يواكيم، والد مريم، وهو من سبط يهوذا من نسل داود، تربَّى في عائلة تقيَّة مارست الشَّريعة وقدَّمت الذبائح. فوالِدُهُ كان غنيًّا جدًّا ويقدِّم القرابين للهِ قائلًا في قلبه: «لتكن خيراتي للشَّعبِ كلِّه، من أجل مغفرة خطاياي لدى الله، ليشفق الرَّبُّ عليَّ».

كذلك حنَّة والدة العذراء مريم هي ابنة الكاهن متان من قبيلة هارون ولكنَّها كانت حزينة بسبب عقرها، لأنَّ العقر حُسِبَ عند اليهود عارًا ولعنة من اللهِ، فيما الولادة تعني تأمين النَّسل لمجيءِ المسيح المنتظر.

صلَّت حنَّة إلى الرَّبِّ قائلة: «يا إله آبائي، باركني واستجبْ صلاتي، كما باركتَ أحشاء سارة ورزقتها إسحق ابنًا». فإذا بملاك الرَّبِّ يقول لها: «يا حنّة، إنَّ الله سمع صلاتك؛ سوف تحبلين وتلدين، ويكون نسلك مشهورًا في العالم بأسره». فأجابت حنَّة قائلة: «ليحيَ الرَّبُّ إلهي؛ سواء كان صبيًّا أم بنتًا ما أَلِدُهُ، فسوف أُقَدِّمُهُ للرَّبِّ، وسوف يُكرِّس حياته للخدمة الإلهيَّة». وحبلت حنَّة، وفي الشهر التاسع ولدت بنتًا، وسمَّتها مريم وشكرت الله قائلة: «نفسي ابتهجت هذه الساعة».

ليتورجيا العيد:

تراتيل العيد مليئة بالفرح والتهليل والحبور: «هذا هو يوم الرَّبِّ فتهلَّلوا يا شعوب....». «اليوم ظهرت بشائر الفرح لكلِّ العالم...». «اليوم حدث ابتداء خلاصنا يا شعوب...».«... لِتَتَزيَّن الأرضِيَّات بأفخر زينة، ولترقُصَنَّ الملوك طربًا، لِتَسِرِ الكهنة بالبركات، وَلْيُعَيِّدَنَّ العالم بأسره..»

ولقراءات العيد أهميَّة كبيرة فهي تربط بين العهدين القديم والجديد:

– القراءة الأولى: السُّلم المنتصبة (تكوين ٢٨: ١٢-١٤) « ورأى (يعقوب) حُلمًا واذا سُلَّم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء. وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها. وهوذا الرَّبُّ واقف عليها فقال انا الرَّبُّ إله ابراهيم ابيك وإله اسحق».

العذراء مريم هي السلّم الذي بها انحدر الإله.

القراءة الثانية: باب المَقْدِس المُغْلَق (حزقيال ٤٤: ١-٢) : « فقال لي الرَّبُّ: هذا الباب يكون مُغلقًا لا يفتح ولا يدخل منه إنسان لأنَّ الرَّبَّ إله اسرائيل دخل منه فيكون مُغلقًا ».

تشير هذه القراءة بحسب تفسير الكنيسة الأرثوذكسيَّة إلى بتوليَّة مريم الدائمة (قبل وأثناء وبعد الولادة، لهذا توضع ثلاث نجوم على كَتِفَي العذراء ورأسها) وأمومتها المعجزة البيان والوصف.

– القراءة الثالثة: الحكمة وبيتها (أمثال ٩ –١): « اَلْحِكْمَةُ بَنَتْ بَيْتَهَا. نَحَتَتْ أَعْمِدَتَهَا السَّبْعَةَ. ذَبَحَتْ ذَبْحَهَا. مَزَجَتْ خَمْرَهَا. أَيْضًا رَتَّبَتْ مَائِدَتَهَا.أَرْسَلَتْ جَوَارِيَهَا تُنَادِي عَلَى ظُهُورِ أَعَالِي الْمَدِينَةِ ».

يشير هذا النصُّ بحسب تفسير الكنيسة الأرثوذكسيَّة بأبائها القدّيسين إلى العذراء مريم البيت الذي بناه الله، الحكمة الفائقة ودعوة البشر إلى مائدة الرَّبِّ (المناولة الإلهيَّة).

لاهوت العيد:

تقول إحدى ترانيم صلاة السَّحر:« يا للعجبِ البَاهِرِ، فإنَّ الثَّمرة التي برزت من العاقر بإشارة خالق الكُلِّ وضابطهم، قد أزالت عقم العالم من الصالحات بشدةِ بأس....».

فكما أنَّ يواكيم وحنَّة هما صورة العالم العقيم، كذلك مريم هي صورة العالم الجديد المُخصب، صورة الكنيسة التي لا تشيخ.

فرحنا بولادة مريم العذراء هو سرور وفرح **بالرَّبِّ يسوع** الذي سيولد منها. **فالمسيح** الذي جعل مريم أم الحياة **بالرُّوح القُدُس** وأضحت أم النُّور، يجعل الكنيسة أيضًا ينبوع الحياة.

هذا الأمر كثيرًا ما ننساه فنعامل والدة الإله وكأنها قائمة في ذاتها، مجرَّدة عن دور الله في حياتها.

ولكنَّ الكنيسة تُسمِّي مريم «والدة الإله» في التراتيل والأناشيد الكَنَسِيَّة كلِّها، وهكذا تظهر في الأيقونات دائمًا مع الرَّبِّ يسوع باستثناء حالات خاصة جدًا.

نهايةً، احتفال الكنيسة بولادة مريم والدة الإله هو إعلان الفرح بولادة فجر الخلاص، لأنَّ الَّتي وُلِدَت من عاقرَين أحبّت الله وكرَّست ذاتها له، فَقَبِلَت أنْ تُطيع تدبيره الخلاصيّ لتلدَ **المسيح** للعالم.

(إعداد المركز الانطاكي الارثوذكسيّ للإعلام)

إنَّ ميلادك يا والدة الإله بشَّرَ المسكونة كلَّها بالفرح. لأنَّه منكِ أشرق شمس العدل المسيح إلهنا. فنقَضَ اللعنة ووهب البَرَكة ولاشى الموت ومنحنا الحياة الأبديَّة.

التوبة

من روائع عظات القديس يوحنا الذهبيّ الفم



١) – هل رأيتم الأحد الماضي الحرب والنُصرة، حرب الشيطان ونُصرَة المسيح؟ أرايتم كيفَ تُمتَدَح التوبة، وكيفَ أنَّ الشيطان لم يتحمَّل اللطمة، ولكنه خاف وارتَعَدَ؟ لماذا تخاف أيُّها الشيطان، حينما تُمتَدَح التوبة، لماذا تنوح؟ لماذا ترتعب؟ يقول: نعم حقًّا انوح واحزن، لأنَّ هذه التوبة اختطفت منِّي أعضاء هامَّة. مَنْ هُم هؤلاء الأعضاء؟ الزَّانية، العشَّار، اللِّص، والمُجدِّف. حقًّا، أعضاء كثيرون سَلَبَتْهُمْ منه التوبة، لقد حَطَّمَت حِصنَهُ، والآن جُرحُهُ خطير من التوبةِ. ستعلم ذلك أيُّها الحبيب، مِمَّا اظهرته التجربة سابقًا. إذًا لأيِّ سببٍ لا نستمتع بأمثال تلك العِظَة، ولِأيِّ سَبَبٍ لا نأتي بانتظام إلى الكنيسةِ، هادفين بِاستعدادٍ إلى التوبةِ؟ وحتَّى إنْ كنتَ خاطِئًا، تعالَ الى الكنيسة، لكي تقرَّ بخطاياك، وإنْ كنتَ بارًّا، تعالَ لكي لا تفقد البِرَّ، لأنَّ الكنيسة هي ميناءٌ للاثنين معًا (الخاطئ والبارّ).

هل أنتَ **خاطئ؟** لا تيأس، ولكن تعال إلى الكنيسة لكي تُظهر التوبة. هل **أخطأت؟** قُلْ للهِ: «أخطأتُ». ما هو التعب في ذلك؟ وكم من الوقت تحتاج؟ وأيُّ حُزن، وأيُّ ضيق في أنْ تقول كلمة: «أخطأتُ». وهل إنْ لَمْ تَقُل أنَّكَ خاطئ، فلن يتَّهمكَ الشيطان؟ أسرِع واخطَف وظيفته هذه، لأنَّ دَوْرَهُ هو أنْ يتَّهمكَ. فلماذا إذًا لا تَسبقهُ، وتعترف بالخطيَّةِ وتمحو الخطأ، بعدما عرفتَ أنَّ لديكَ مُشتَكِيًا مثل هذا لا يستطيع أنْ يصمُت؟. هل اخطأتَ؟ تعالَ إلى الكنيسة، وَقُلْ للهِ: «أخطأتُ». لا أطلب منكَ أيَّ شيءٍ آخَر، إلَّا هذا وحدَهُ. لأنَّ الكتاب المقدَّس يقول: «ذَكِّرْنِي فَنَتَحَاكَمَ مَعًا. حَدِّثْ لِكَيْ تَتَبَرَّرَ.» (إش ٤٣:٢٦). إعتَرِف بخطيَّتك، لكي تَتَحَرَّرَ من الخطيَّة. لا يوجد في هذا تعب، ولا كلام كثير، ولا تكاليف ماليَّة، ولا أيِّ شيءٍ آخرَ مُشابه، قُلْ كلمة واحدة: إعترف بِخَطِيَّتك. وَقُلْ للهِ: «أخطأتُ». ربما يقول المرء: وكيفَ أعرف أنَّهُ إذا قلتُ أوَّلًا خطِيَّتي، أمحو الخطيَّة؟ إنَّ لدَيَّ في الكتاب ذاكَ الَّذي أقَرَّ بها وتحرَّرَ منهُ، وذاكَ الَّذي لم يَقِرَّ بها وَأُدينَ لِحَسَدِهِ، فإنَّ قايين بعد سيطرة الحَسَد عليه، قَتَلَ أخاهُ هابيل، والحَسَد تَبِعَهُ القتل، لأنَّه أخذه إلى سَهلٍ وقتَلَهُ. ماذا قالَ له الرَّبُّ؟:«أَيْنَ هَابِيلُ أَخُوكَ؟» (تك ٤:٩). إنَّ ذاكَ الَّذي يعرف كُلَّ الأشياء يسأل، ليسَ عن جَهلٍ، فذلك أظهره من قوله: «أَيْنَ هَابِيلُ أَخُوكَ؟»، وذاكَ أجاب (قايين): «لاَ أَعْلَمُ! أَحَارِسٌ أَنَا لأَخِي؟» (تك ٤:٩). حسنًا أنتَ لستَ حارسًا، ولكن لماذا قتلته؟ وأيضًا أتعترف بذلك؟ أنتَ مسؤولٌ عن حِراسته. إذًا ماذا يقولُ الرَّبُّ له؟: «مَاذَا فَعَلْتَ؟ صَوْتُ دَمِ أَخِيكَ صَارِخٌ إِلَيَّ مِنَ الأَرْضِ» (تك ٤:١٠). لقد راقبَهُ بسرعة وأضافَ عقوبته، ليس بسبب قتلِهِ، بِقَدْرِ كونه لم يَكُن يخجل، لأنَّ الله لا يحبُّ بدرجةٍ كبيرة مَنْ يُخطئ، بِقَدْرِ ذاكَ الذي لا يخجل من عمله. وبالتأكيد فإنَّهُ لم يقبل قايين، لأنَّه لم يعترف أوَّلًا بخطيَّته. فماذا يقولُ إذًا؟: «ذَنْبِي أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُحْتَمَلَ.» (تك ٤:١٣). بَدَلًا من أنْ يقول: «فعلتُ خطيَّة عظيمة، ولستُ مستحقًّا أنْ أحيا». وماذا يقولُ له الرَّبُّ؟: « تَائِهًا وَهَارِبًا تَكُونُ فِي الأَرْضِ» (تك ٤:١٢)، لقد عَيَّنَ له عقوبة مُرعِبة شديدة. يقول: لا أُعاقِبُكَ بالموتِ، لئلَّا يتمّ نسيان الحقيقة، ولكنِّي سأجعلُكَ ناموسًا يُقرَأُ من الجميع، حتى تصير المُصيبة مصدرًا للحكمةِ. وكان قايين يتجوَّل، كناموسٍ حَيٍّ، كعمودٍ متحرِّك، كان صامتًا، ولكنه كان يترك صوتًا مُدَوِيًّا أقوى من البوق.

فلا يفعل أحد ذلك، لِئَلَّا يحدث له نفس الأمر. لقد نالَ العقاب بسبَبِ وقاحته، ولأنَّه لم يعترف، وحيثُ أنَّهُ أُدينَ، فلذلك حُكِمَ عليهِ بسبب خطيَّته. لأنَّهُ لو كان اعترفَ بخطيَّته، لكان هو أوَّل مَنْ يمحوها.

٢) – ولكن لكي تعرف، أنَّ هذه الأمور هكذا تحدث، فاعلَم كيفَ أنَّ شخصًا آخرَ قد تحرَّرَ من خطِيَّته، بعدما اعترف بها أوَّلًا. لِنَأتِ إلى داود النبيّ والملِك، أو الأفضَل أنْ أدعوه النبيّ، لأنَّ مُلكَهُ كان في فلسطين، وأمَّا نُبُوَّته فبلغت أقاصي المسكونة، كما أنَّ مُلكَهُ بالطبع انتهى بعدَ وقتٍ قصير، بينما نُبوَّته تنطق بكلامٍ خالد. أنَّهُ لَمِنَ الأفضَل أن يخبو نور الشمس، عن أنْ تُنسى كلمات داود. هذا النبيّ قد سَقَطَ في الزِّنى والقتل، لأنَّ (الكتاب المقدَّس) يقول: أنَّهُ رأى إمرأة جميلة كانت تستحم، «وَكَانَ فِي وَقْتِ الْمَسَاءِ أَنَّ دَاوُدَ قَامَ عَنْ سَرِيرِهِ وَتَمَشَّى عَلَى سَطْحِ بَيْتِ الْمَلِكِ، فَرَأَى مِنْ عَلَى السَّطْحِ امْرَأَةً تَسْتَحِمُّ. وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ جَمِيلَةَ الْمَنْظَرِ جِدًّا.» (٢ صم ١١:٢). فتملَّكته الشَّهوة

تُجاهها، ثمَّ نَقَّذَ الأفكار التي جالت في خاطره. وهكذا وُجِدَ النبيّ مُدانًا بالزِّنى، مثل اللؤلؤة داخل المستنقع. ولكنه لم يَكُن يشعر بعدُ بأنَّهُ اخطأ، لقد كان مُخَدَّرًا إلى هذه الدرجة من الشَّهوة. لأنَّه حينما يكون ذاك الذي يمسك باللجامِ ثَمِلًا، فإنَّ العربة أيضًا تسير بدونِ انضباط، وكُلُّ ما يكون عليه مَنْ يُمسِك اللجام والعربة، هكذا ما تكون عليه النفس والجسد. فإنْ كانت النَّفسُ تخضع للظلامِ، فإنَّ الجسد أيضًا ينحدر إلى المستنقع، لأنَّهُ بقَدرِ ما يكون ذلك الذي يمسك اللجام يقف جيِّدًا، فإنَّ العربة تُقادُ جيِّدًا، ولكن حينما يفقد ذاك قُواه ولا يستطيع أنْ يُسيطر على اللجام، حينئذ فإنَّ العربة هي الأُخرى تسير نحو الأسوأ. نفس الأمر يحدث مع الإنسان، فطوال الوقت الذي فيه تكون النَّفسُ منتبهة وساهرة، يكون الجسد أيضًا طاهرًا، ولكن حينما يستحوذ الظلام على النفس، فإنَّ الجسد أيضًا حينئذٍ يحدث له نفس الشيء، فينحدر إلى المستنقع والرَّذيلة. إذًا ماذا فعلَ داود؟ لقد زَنَى، ولكنَّهُ لم يُدرِك ذاكَ الشَّر الذي فعله، ولم يُراقبه أحدٌ، وهذا حدثَ في عمرٍ متقدِّم، لكي تعلم أنَّهُ لو كنتَ كسولًا، فلا تنفعُكَ حتى الشيخوخة، ولا أيضًا إنْ كنتَ مُتَيَقِّظًا يُمكن للحَدَاثَةِ أنْ تَضُرَّكَ. لأنَّ الحياة المستقيمة لا تتوَقَّف على العمر، **وإنَّما مُمارسة الفضيلة ترتبط بالإرادة.**

فإنَّ دانيال النبيّ أيضًا كان عمره إثنتي عشرَةَ سنة، وَحَكَمَ على الأمور بالصَّوابِ، بينما الشيوخ في عمرٍ متقدِّمٍ جدًّا، ارتكبوا فاجعة الزِّنى. فلا أولئك قد نفعتهم الشيخوخة، ولا هذا قد أَضَرَّتْهُ حَدَاثَةُ العُمر. (انظر دانيال ١٣).

ولكي تَعلَم أنَّ الحكمة لا تتوَقَّف على العُمر، ولكن على القَصد والإرادة، فإنَّ داود، وإن كانَ في سِنٍّ متقدمة، إلَّا أنَّهُ سقَطَ في الزِّنى والقتل، وَوُجِدَ في تلكَ الحالة، حتى أنَّهُ لم يشعر بأنَّهُ قد أخطأ، لأنَّ العقل الذي يمسك باللجامِ، كانَ ثَمِلًا بدونِ خمر.

إذًا ماذا يفعل الله؟ يُرسِل له ناثان النبيّ، نبيّ يأتي إلى نبيّ آخر، لأنَّ نفس الأمر يحدث مع الأطباء، فحينما يمرض أحد الأطباء، يحتاجُ إلى طبيبٍ آخر. هكذا حدث هنا، نبيٌّ قد أخطأ، ونبيٌّ آخرَ ذاك الذي يحمل الأدوية. إذًا فلقد أَتَى ناثان إليه ولم يُوَبِّخه في التَّوِّ، بمجرَّد أنْ وَطَأَ بابه، قائلًا له:«أيُّها العاصي والمقيت والزَّاني والقاتل، كُلّ هذه الإحسانات التي نلتها من الله وتدوس على وصاياه؟». لم يَقُل ناثان شيئًا مثل هذا، لكي لا يجعله بلا حياء أكثر، لأنَّهُ حينما تُكشَف الخطايا، فإنَّ هذا يقود ذاك الذي فعلها إلى عدم الحياء. لقد أَتَى إذًا ناثان إلى داود، وأخَذَ ينسج قصَّة دراميَّة، ماذا يقول:؟ أيُّها الملك أريد حُكْمَكَ. يوجد رَجُلانِ أحدهما غنيٌّ والآخر فقير. والغنيّ عنده غنم وبقر كثير جدًّا، بينما الفقير لم يَكُن له إلَّا نعجة واحدة تشرب من كأسه، وتأكل من مائدتِهِ، وتنام في حِضنِهِ – وهو بهذا يُشيرُ إلى العلاقة الأصيلة بين الرَّجُل وإمرأته – ثُمَّ أَتَى شخصٌ ضيف إلى هذا الغني، ولكن الغنيّ أَبَى أنْ يجودَ مِمَّا يملكه (ليقدِّمه للغريب)، فأخذَ نعجة الفقير وذبحها. فهل تَرَى كيفَ أنَّهُ يَنسج هنا القصَّة الدراميَّة مُغَطِّيًا الحديد داخل الأسفنج؟ **(أي أنَّ ناثان يضرب بِكُلِّ قوَّة ولكن بكلماتٍ لَيِّنة).**

فماذا يقولُ إذًا الملك؟ لقد اعتقدَ أنَّهُ سيُصدِر حُكمًا ضِدَّ شخصٍ آخرَ، فنجده يُقَرِّر بِكُلِّ قَسوَةٍ. لأنَّه هكذا يكون البشَر، بسهولةٍ وبِكُلِّ قَسوةٍ يُصدرون الأحكام على الآخرين. «فَحَمِيَ غَضَبُ دَاوُدَ عَلَى الرَّجُلِ جِدًّا، وَقَالَ لِنَاثَانَ: «حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ، إِنَّهُ يُقْتَلُ الرَّجُلُ الْفَاعِلُ ذلِكَ، وَيَرُدُّ النَّعْجَةَ أَرْبَعَةَ أَضْعَافٍ لأَنَّهُ فَعَلَ هذَا الأَمْرَ وَلأَنَّهُ لَمْ يُشْفِقْ».» (٢ صم ١٢: ٥-٦).

إذًا فماذا يقول ناثان؟ لم يُخفِّف الضربة لوقتٍ طويل، ولكنَّه حالًا يُعرِبُ عن رأيهِ، ويزيد القَطع بأكثر عمقٍ، لكي لا يُزيل الإحساس بالعقابِ. أيُّها الملك: **«أنتَ هو الرَّجُل»**. وماذا يقول الملك؟ يقول: **«قد أخطأتُ إلى الرَّبِّ»**. لَمْ يَقُلْ: ومن أنتَ حتى تَدينني؟ مَنْ أرسَلَكَ لكي تتكلَّم بِكُلِّ هذه الجُرأة؟ كيفَ تتجرَّأ وتفعل هذا؟ لم يَقُل أبدًا شيئًا مثل هذا، ولكنه استشعرَ خَطِيَّته. ماذا يقول: «قد أخطأتُ إلى الرَّبِّ». حينئذٍ ماذا قالَ له ناثان؟: «الرَّبُّ أَيْضًا قَدْ نَقَلَ عَنْكَ خَطِيَّتَكَ.» (٢ صم ١٢: ١٣). لقد أَدَنْتَ نَفسَكَ، وأنا أيضًا أنقُل عنكَ هذه الخطيَّة. لقد اعترفتَ بإقرارِ خطيَّتك، وبذلك مَحَوْتَهَا، لقد حَكَمتَ على نفسك، وأنا أُحَرِّرُكَ من قرار الإدانة. أرأيت كيفَ صَدَقَ المكتوب: «ذَكِّرْنِي فَنَتَحَاكَمَ مَعًا. حَدِّثْ لِكَيْ تَتَبَرَّرَ.»؟ (إش ٤٣: ٢٦). أيُّ تعبٍ في أنْ تذكُر أوَّلًا خطيَّتك؟.

٣) – إنَّ لديكَ طريقًا آخرَ للتوبةِ، ما هو هذا الطريق؟ أنْ تحزن على الخطيَّة. هل أخطأت؟ إحزَنْ، وامحُ الخطيَّة. أيُّ تعَبٍ في هذا؟ لا أطلب منكَ أيّ شيءٍ إضافيّ، إلَّا أنْ تحزن على خطيَّتك. لا أقول لكَ أنْ تشُقَّ البَحر، ولا أن تلجأ إلى الموانئ، ولا أنْ تسير في الطريق، أو تسير طريقًا بلا نهاية، أو أنْ تُقَدِّم أموالًا، وأنْ تعبر أمواجًا عنيفة، ولكن ماذا أطلب؟ إحزن على خطاياك. يقول (قائل) وكيفَ نعرف، إنَّهُ إنْ حَزِنتَ، سَتُمحَى الخطيَّة؟ لديكَ الدليل على هذا من الكتاب المقدَّس.

كانَ أحد الملوك وهو آخاب، توجد شواهد عنه أنَّهُ كان بارًّا، ولكنَّه لم يُدِرْ مملكته حسنًا، بسبب **إمرأته إيزابيل**. هذا الملك قد رَغِبَ في كَرْمِ شَخصٍ يُدعى نابوت اليزرعيلي، فأرسَلَ إليهِ مَنْ يقول له: «أَعْطِنِي كَرْمَكَ فَيَكُونَ لِي بُسْتَانَ بُقُول، لأَنَّهُ قَرِيبٌ بِجَانِبِ بَيْتِي، فَأُعْطِيَكَ عِوَضَهُ كَرْمًا أَحْسَنَ مِنْهُ. أَوْ إِذَا حَسُنَ فِي عَيْنَيْكَ أُعْطِيَتُكَ ثَمَنَهُ فِضَّةً». فَقَالَ نَابُوتُ لأَخْآبَ: «حَاشَا لِي مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ أَنْ أُعْطِيَكَ مِيرَاثَ آبَائِي». (١ مل ٢١: ٢-٣). لقد كانَ آخاب بالتأكيدِ يرغب في اقتناء الكرم، ولكنه لم يُرِد أن يَغضِب صاحبه، حتى يصِل بسببِ هذا الأمرِ إلى أنْ يصنع له شرًّا. ولكن **إيزابيل** أتت إليه، **إمرأة وَقِحة** لا يمنعها شيء، **غير نقيَّة ومقيتة**، قالت له: « لماذا روحك مكتئبة ولا تأكل خبزًا؟ قُمْ كُلْ خبزًا أنا أُعطيكَ كرم نابوت اليزرعيلي». حينئذ كتبَت رسائل باسم الملك وأرسلتها إلى الشيوخ تقول لهم: «نادوا بصوم واجلسوا رَجُلَيْنِ **(شهود زور)** تجاه نابوت، ليشهَدَا قائلين: « قد جدَّفتَ على الله وعلى الملك». يا للعجبِ صومٌ مملوءٌ من مخالفة صارخة للناموس! مُناداةٌ بالصوم، لكي يقترفوا القتل. ماذا حدثَ عندئذٍ؟ لقد رُجِمَ نابوت ومات. وعَلِمَت **إيزابيل** بذلك فقالت لآخاب: «قُم رِثْ كرم نابوت لأنَّه مات». وذاكَ تأسَّفَ في اللحظةِ، ولكنه ذهَبَ وورث الكرم. حينئذٍ أرسَلَ اللهُ له إيليَّا النبيّ، قائلًا: إذهب وَقُلْ لآخاب: « هل

قتلتَ وورثتَ أيضًا؟ هكذا تلحس الكلاب دَمَكَ أنتَ أيضًا» (١ مل ١٣). الغضب قد أُرسِلَ من اللهِ، القرار كان كاملًا، والإدانة كانت تامَّة. ولاحظ أينَ أرسَلهُ؟ في الكرم. فحيثُ تكون المخالفة توجد العقوبة أيضًا. وماذا يقول؟ بمجرَّد أنْ رآه آخاب قال: «هل وجدتني يا عدوِّي؟». بدلًا من أن يقول له: « لقد وجدتني مُذنبًا، لأنِّي أخطأتُ، فالآن تديني». يقول له: «هل وجدتني يا عدوِّي؟». وذلك لأنَّ إيليَّا كان دائمًا يُراقب آخاب، وآخاب عرف أنَّهُ أخطأ، فيقول له: « في كُلِّ حين تُراقبني، ولكن الآن هي أنسب اللحظات أنْ تُدينني وتَحكُم عليَّ». حينئذٍ يُعلن له إيليَّا النبيّ القرار: « هكذا قالَ الرَّبُّ: هل قتلتَ وورثت أيضًا؟ هكذا في المكان الذي لحست فيه الكلاب دم نابوت، تلحس الكلاب دمك أيضًا». وحينما سَمِعَ آخاب ذلك شَقَّ ثيابه، وَحَزِنَ على خطيَّته، واستشعرَ ظُلمه، والله أَلغَى القرار الذي كان ضِدَّه. ولكن قد أعلَنَ هذا الأمرَ أولًا لإيليَّا، لكي لا يظهر أنَّهُ كاذب، وينال ما حدث ليونان، لأنَّ شيئًا مماثلًا قد جازه يونان النبيّ.

لقد قالَ الرَّبُّ ليونان: إذهب ونادِ في مدينة نينوى، التي يسكنها مئةٌ وعشرون ألف رَجُلٍ عدا النساء والأطفال، «بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا تَنْقَلِبُ نِينَوَى» (يونان ٣:٤). لم يشأ يونان أن يذهب، لأنَّه يعرف محبَّة الله للبَشَرِ، فماذا يفعل؟ ذهبَ بعيدًا، لأنَّهُ قال: « أنا أذهب وأُنادي، ولكن أنتَ كَمُحبٍّ للبَشَرِ تندم على القرار، وحينئذٍ أموتُ أنا كنبيٍّ كاذب». ولكن البحر الذي ابتلعه لم يُخْفِهِ، وإنَّما سَلَّمه لليابسة، وَخَلَصَ مرَّة أُخرى نينوى، كمثل خادمٍ صالح يُنقِذ شريكه في الخدمة. يقول الكتاب: «فَقَامَ يُونَانُ لِيَهْرُبَ إِلَى تَرْشِيشَ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ، فَنَزَلَ إِلَى يَافَا وَوَجَدَ سَفِينَةً ذَاهِبَةً إِلَى تَرْشِيشَ، فَدَفَعَ أُجْرَتَهَا وَنَزَلَ فِيهَا» (يون ١:٣). أينَ تذهب يا يونان؟ هل ستذهب إلى أرضٍ أُخرى؟ ولكن «للرَّبِّ الأَرضِ وملؤها» (مز٢٣:١). هل ستلجأ للبحرِ؟ ألا تعرف «أنَّهُ على البحار أسَّسَها» (مز٢٣:١). هل ستهرب للسماء؟ ألم تسمع داود يقول: «لأنِّي اعاين السموات من عمل اصابعك» (مز ٣:). ولكن ذاكَ كان يُسَيْطِر عليه الخوف، فذهبَ كما كان يعتقد، لأنَّ الله في الحقيقة لا يُمكن أنْ تهرب منه. ولكن حينما أعاده البحرُ مرَّةً أُخرى إلى اليابسة، وذهبَ إلى نينوى، نادى قائلًا: «بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا تَنْقَلِبُ نِينَوَى» (يونان ٣:٤). ولكي تعلم أنَّهُ لجأ للهرَبِ، لأنَّهُ كان يُفكِّر تمامًا في هذا الأمرِ، أي أنَّ الله لأنَّهُ مُحبٌّ للبَشَرِ، يندم على العقوبة التي أعلنها لهؤلاءِ، وبالتالي فإنَّ يونان سيظهر بهذه الطريقة كنبيٍّ كذَّاب، وهو نفسه يُظهر ذلك. لأنَّهُ بعدما نادى بهذا في نينوى، خرجَ خارج المدينة، وكان يراقب ماذا سيحدث عن كثب، وحينما رأى أنَّهُ مرَّت الأيام ولم يحدث أيُّ شيءٍ مِمَّا هَدَّدَ به الله، حينئذٍ باحَ بما فكَّر فيه في البداية وأخذ يقول: «آهِ يَا رَبُّ، أَلَيْسَ هذَا كَلاَمِي إِذْ كُنْتُ بَعْدُ فِي أَرْضِي؟ لِذلِكَ بَادَرْتُ إِلَى الْهَرَبِ إِلَى تَرْشِيشَ، لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّكَ إِلهٌ رَؤُوفٌ وَرَحِيمٌ بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَنَادِمٌ عَلَى الشَّرِّ.» (يون ٤:٢).

إذًا فلكي لا يحدث لإيليَّا أمرٌ مثل هذا الذي اجتازَهُ يونان، فنجد أنَّ الله يقول السبب، الذي من أجله سامَحَ آخاب. فماذا يقول الله لإيليَّا؟ : «هَلْ رَأَيْتَ كَيْفَ اتَّضَعَ أَخْآبُ أَمَامِي؟ فَمِنْ أَجْلِ أَنَّهُ قَدِ اتَّضَعَ أَمَامِي لاَ أَجْلِبُ الشَّرَّ فِي أَيَّامِهِ» (١مل ٢٩:٢١). يا لَلْعَجَبِ فإنَّ السَّيِّد يصير مُحاميًا للعبدِ، والله يُدافع عن إنسان أمام إنسان آخر. يقول لإيليَّا لا تعتقد إنَّني سامحته بدون سبب، ولكنَّه غيَّرَ تَصَرُّفَهُ، ولأجل هذا خفَّفتُ من غضبي وأَزَلتُهُ. وبالنسبةِ إليك سوفَ لا يُظَنّ أنَّكَ نبيٌّ كاذب، لأنَّكَ قد قُلتَ الحقيقة، فإنْ لم يَكُن قد غيَّرَ من تَصَرُّفه، فكان ما قد قرَّرته قد بَقِيَ، ولكنه بَدَّل من سُلوكِهِ، وأنا قد أَزلتُ غضبي. يقول الله لإيليَّا: «هَلْ رَأَيْتَ كَيْفَ اتَّضَعَ أَخْآبُ أَمَامِي؟ فَمِنْ أَجْلِ أَنَّهُ قَدِ اتَّضَعَ أَمَامِي لاَ أَجْلِبُ الشَّرَّ فِي أَيَّامِهِ» (١مل ٢٩:٢١). أرأيتَ كيف أنَّ الحزن على الخطايا يمحوها ؟

٤) – ولكن عندَكَ أيضًا الطريق الثالث للتوبة. لقد أوردتُ طرقًا كثيرة للتوبة، لكي أجعل لكَ، بتَنَوُّع هذه الطُرُق، الخلاص أسهَل. ما هي هذه الطريق الثالثة؟ الأتضاع، أَظهر الأتضاع وامحُ خطاياك الكثيرة. ولديكَ الدليل على هذا من الكتاب المقدَّس، مِنْ مُطالعة مَثَلِ الفريسي والعشَّار (لوقا ١٠:١٨ –...). فيقول أنَّ الفريسي والعشَّار صَعِدَا إلى الهيكل لكي يُصَلِّيَا، وبدأ الفريسي يُعَدِّدُ فضائله. فيقول: لستُ أنا أيضًا خاطئًا مثل كُلِّ الناس، ولا مثلَ ذلك العشَّار بنفسٍ شقيَّة بائسة، فلقد أَدَنتَ كُلَّ الناس، لماذا تتأسَّى أيضًا على مَنْ هو بجانبِكَ؟ أَلَمْ يَكْفِكَ كُلّ الناس، ووصلتَ لكي تدين العشَّار أيضًا؟ لقد أَدنتَ كُلَّ الناس ولم تستثنِ أحدًا، تقول: لستُ مثل باقي الناس، ولا مثلَ هذا العشَّار، أصومُ مرَّتين في الأسبوع، وأُعطي للفقراء العشور من كُلِّ ما أملُك. لقد قالَ كلامًا بافتخار. أيُّها الإنسانُ البائس، لقد أَدنتَ كُلَّ الناس، لماذا تتهم جارَكَ العشَّار؟ ألَم تكتَفِ بإدانةِ المسكونةِ كلِّها، فتدين أيضًا ذاكَ الذي كان بجوارك؟ إذًا ماذا فعل العشَّار؟ حينما سَمِعَ هذه الأمور، لم يَقُل: «مَنْ تكون أنتَ يا مَن تقول هذه الكلمات ضِدِّي؟ مِنْ أينَ عَرفتَ معيشتي؟ لَمْ تُخالطني، ولم تمكُث معي، لماذا تتكَبَّر جدًّا هكذا؟ مَنْ هو الذي يشهد على أعمالك الصَّالحة؟ لماذا تمتدح نفسك؟ لماذا تخدع نَفسك؟». ولكنَّه لم يَقُل شيئًا من هذا، وإنَّما بعدما انحَنَى، وسَجَدَ قال: « اللهم ارحمني أنا الخاطئ» (لو ١٣:١٨). وبهذا الاتضاع الذي أظهره العشَّار قد تبرَّرَ. وعلى العكس، فإنَّ الفريسي نزلَ من الهيكَلِ مُدانًا، بينما العشَّار نزل مُبرَّرًا، وهكذا فإنَّ الكلمات قد انتصرت على الأعمال. لأنَّ واحدًا فَقَدَ التبرير بسبب الأعمال، بينما الآخر بأقوال الاتضاع قد رَبِحَ التبرير. وإنْ كان بالتأكيد ذاكَ لم يَكُن اتضاعًا، لأنَّ الاتضاع يكون حينما يضع شخصٌ عظيم ذاته، بينما أنَّ ما فعله العشَّار لم يَكُن اتضاعًا، وإنما هي الحقيقة، لأنَّ الكلمات كانت صادقة، فكان حقًّا خاطئًا.

٥) – في الحقيقةِ أُريد أن تُخبرني مَنْ هو أسوأ من العشَّار؟ إنَّهُ جالب مصائب للغرباء، يتقاسم (ثمرة) أتعاب الغرباء، ولكنه من المؤكَّد أنَّه لا يشترك في أتعابهم، حتى أنَّ خطيَّته هي الأسوأ. لأنَّ ذلك ليسَ شيئًا آخرَ إلَّا اغتصاب بدون خوف، خطيَّة مُقَنَّنة، طمع ذو منظر حسن. حقًّا ماذا يوجد أسوأ من العشَّار الذي يجلس في الطريق يجني من ثمرة أتعاب الآخرين، وحينما تأتي ساعة الأتعاب، لا يُعطي أيَّ اهتمام، لكن حينما تأتي لحظة الرِّبح، يأخذ النصيب من هؤلاء وهو لَمْ يَكِدَّ؟

فإنْ كان العشَّار وهو خاطىء قد فازَ بكُلِّ هذه العطيَّة عن طريق التواضع، فكم يكون أكثر جدًّا ذاكَ الذي يعيش في حياة الفضيلة، ويُظهِر اتضاعًا؟ حتى إنَّهُ لو اعترفت بخطاياك وأظهرتَ اتضاعًا فإنَّكَ تصيرُ مبرَّرًا.

هل تُريد أن تعرف مَنْ هوَ المتضع؟ أُنظر إلى الرسول بولس، معلِّم المسكونة الخطيب الرُّوحي، الإناء المُختار، الميناء الهادئ، البُرج الحصين، ذاكَ الذي بجسده الصغير، جالَ المسكونة، وكمن كانَ لديه أجنحة حَلَّقَ في كُلِّ مكان. أُنظر إلى ذاكَ الذي يُظهر اتضاعًا، فهو شخصٌ بسيط وأيضًا فيلسوف، فقير وغنيّ. فإنَّني أدعو ذاك بالحقيقة متضعًا، ذاكَ الذي تحمَّلَ اتعابًا لا تُحصَى، والذي حقَّقَ انتصارات عديدة ضدَّ الشيطان، والذي كان يكرز ويقول: «نِعْمَتُهُ الْمُعْطَاةُ لِي لَمْ تَكُنْ بَاطِلَةً، بَلْ أَنَا تَعِبْتُ أَكْثَرَ مِنْهُمْ جَمِيعِهِمْ.» (١كور ١٥: ١٠). ذاك الذي تحمَّل السجون والجراح والجَلدات، ذاك الذي جذب المسكونة بالرسائل التي أرسلها، ذاك الذي دُعِيَ عن طريق الصوت السماوي، ذاك الذي اتضَع قائلًا: « لأَنِّي أَصْغَرُ الرُّسُلِ، أَنَا الَّذِي لَسْتُ أَهْلًا لأَنْ أُدْعَى رَسُولًا.» (١كور ١٥: ٩).

أرأيتَ مقدار تواضع الرسول بولس، والذي يدعو نفسه الأصغر؟ لأنَّه يقول: « لأَنِّي أَصْغَرُ الرُّسُلِ، أَنَا الَّذِي لَسْتُ أَهْلًا لأَنْ أُدْعَى رَسُولًا.» (١كور ١٥: ٩). حقًّا هذا هو الاتضاع، أن يتصرَّف المرء باتضاع أمام الجميع وأن يدعو نفسه صغيرًا. فكِّر، مَنْ كان ذاك الذي ينطق بهذه الكلمات، الرسول بولس، المواطن السماوي الذي كان يحمل جسدًا، عمود الكنائس، الملاك الأرضي، والإنسان السماوي. إنَّني أحمل هذا الإنسان في فكري بكلِّ الفرح، ناظرًا إلى جمال الفضيلة التي يحملها. إنَّ عيني لا تفرح بالشمس المُشرقة، التي تنشر أشعتها، مثلما يُنير ذهني شخص بولس، لأنَّ الشمس تنير عيوننا، بينما يرفعنا بولس الرسول إلى قباب السماء. لأنَّه يجعل النفس أعلى من الشمس وتفوق الرسول إلى قباب السماء، لأنَّه يجعل النفس أعلى من الشمس وتفوق القمر، فهذه هي قوَّة الفضيلة، تجعل الإنسان ملاكًا، وتنقل النفس إلى السماء.

إنَّ الرسول بولس يعلِّمنا الفضيلة، لنَسعَى إذًا لكي نصير متمثِّلين بفضيلته، ولكننا يجب ألَّا نخرج عن موضوعنا الذي نتكلَّم فيه، لأنَّ هدفنا هو أن نُظهِر الطريق الثالث للتوبة، وهو الاتضاع. فالعشَّار لم يُظهر اتضاعًا، وإنَّما قال الحقيقة، كاشفًا خطاياه، وصار بارًّا، بدون أن يدفع مالًا، ولا أنْ يشقَّ عرض البحر، ولا أنْ يجتاز طريقًا طويلًا، ولا أنْ يُبحر بلا نهاية، ولا أنْ يطلب مُساعدة من أصدقاء، ولا أنْ يمضي وقتًا طويلًا، ولكنَّه رَبِحَ التبرير بالاتضاع، واستحَقَّ أن يفوز بملكوت السموات، والتي أدعو أنْ نفوز بها جميعًا **بالنعمة ومحبَّة البشَر التي لربنا يسوع المسيح**، الذي يليق به المجد والقوَّة إلى أبد الآبدين. آمين.



إذ ليس باستطاعةِ لُغةِ البشر أو ذهن الملائكة غير الهيوليِّين الاحتفال، كما يليق، بتلك الَّتي أُعطي لنا بها أنْ نشاهد بجلاء، مجد الرَّبِّ... أنَسكُتُ لكوننا غير قادرين على الإشادة بها كما يليق؟... هل يعيقنا الخوف؟... كلَّا طبعًا... هل نُقْدِم على تخطِّي العتبة، دون أنْ نعرف محدوديَّتنا لنلامس الأشياء المقدَّسة من دون احتراس غير عابئين وبلا خوف يردعنا؟... كلا البتَّة... بل نشبك الخوفَ بالحبِّ ونصنع من تشابكهما إكليلًا واحدًا، وبتكريم مقدَّس ويدٍ مرتجفة ونفس مضطرمة نقدِّم بواكير فكرنا المتواضع كدَينٍ واجبٍ، عرفانًا بالجميل للملكة والأمِّ المحسنة إلى الطَّبيعة برمَّتها!.

يُحكى أنَّ فلَّاحين كانوا يشقُّون الأثلام بثيران الحراثة، فرأوا ملكًا مارًّا لابسًا الأرجوان الباهر، متلألئًا بلمعان تاجه. وكان وسط حشد لا يحصى من الحرَّاس المحتفِّين به. ولمَّا لم يكن في متناولهم شيءٌ البتَّة يقدِّمونه هدية للملك، أخذ واحد منهم، ومن دون تلكُّؤ، بعض الماء ملء كفَّيه (الماء الَّذي كان يجري بوفرة بالقرب منهم) وحمله هبةً للملك. فقال له الملك: «ما هذا يا بنيّ؟». فأجاب بثقةٍ: «ما كان في متناولي، أتيتُك به. فكَّرتُ أنَّ هذا هو الصَّواب: لأنَّه لا ينبغي للعوز أن يُخمد حماسنا في العطاء. ليس لك ما تفعل بهباتنا، لكنَّك ترى إرادتنا الطَّيِّبة. وهذا الصَّنيع هو واجب بالنِّسبة إلينا، كما أنَّه لمدحنا أيضًا، لأنَّ المجد يواكب ذوي السَّخاء، الَّذين يعطون بطيبة خاطر». عَجِب الملك لهذه الحكمة ومدحها، وتقبَّل هذه الإرادة الطَّيِّبة بلطف وعَزَم على مكافأة الرَّجل بعطايا وافرة.

فإذا كان هذا الطَّاغية المتكبِّر قد فضَّل الإرادة الطَّيِّبة على غنى التَّقدمة، فكم بالحري تتقبَّل نيَّتنا من دون النَّظر إلى قُدرتنا، هذه السَّيِّدة الصَّالحة حقًّا، أمُّ الإله الصَّالح وحده، الَّذي لا نهاية لتنازله والَّذي فضَّل «الدِّرهمَين» على تقدمات الأغنياء الوافرة؟. لا بُدَّ لها أنْ تتقبَّل تقدمة هذا الدَّين وتعطينا بالمقابل خيراتٍ لا مثيل لها في عظمتها. وهكذا، بما أنَّ كُلَّ شيءٍ يدفعنا إلى الكلام، لكيما نضطلع بما يتوجَّب علينا، نُوجِّه الكلام إليها متضرِّعين ومُنشدِين.

المرجع: القدّيس يوحنّا الدّمشقيّ، عظات في ميلاد السّيّدة ورقادها، دير السّيّدة حماطورة (١٩٩٧)، كوسبا، لبنان.



«عثرات الشِّرير، وما ينبغي أنْ يفعله أولئك الذين يطلبون المجد الإلهي باشتياق، لأنه بواسطة عصيان آدم قد نزلنا جميعًا إلى عبودية الشَّهوات اللحميَّة، والتي أُنقذنا منها بالسِّرِّ المختفي في الصليب، وتُعلِّم العظة أيضًا أنَّ قُوَّةَ الدموع والنار الإلهيَّة هي قُوَّةٌ عظيمة».

السِّرُّ الذي في الصليب:

أولئك الذين كُتب في داخلهم النَّاموس الإلهي، ليس بحبر وحروف بل هو مطبوعٌ في قلوب لحميَّة، فهؤلاء إذ قد استنارت عيون أذهانهم ويتطلعون إلى الرَّجاء الذي لا يُلمس ولا يُرى، بل هو غير منظور وغير مادي، فهؤلاء يملكون القوَّة أنْ يغلبوا عثرات الشِّرير وذلك بقوَّةٍ لا يمكن أنْ تُقهر.

أمَّا أولئك الذين لم يُكرَّموا ويتشرَّفوا **بكلمة الله** ولم يتهذَّبوا بالشَّريعة الإلهيَّة فإنهم «ينتفخون باطلًا» (كول٢:٨). وهم يظنون أنهم بإرادتهم الحرَّة يستطيعون أنْ يقطعوا أسباب الخطيَّة التي يُحكَم عليها فقط بواسطة السِّرِّ الذي في الصليب، أنَّ إرادة الإنسان الحرَّة لها سلطان أنْ تُقاوم الشيطان، ولكنها لا تمتد إلى السيادة المُطلقة على الشَّهوات. وكما يقول الكتاب: «إنْ لم يبنِ الرَّبُّ البيتَ فباطلًا يتعب البنَّاؤون. وإنْ لم يحفظِ الرَّبُّ المدينةَ فباطلًا تَسهرُ الحرَّاس» (مز ١٢٧: ١).

لأنَّهُ لا يستطيع أحدٌ أنْ يطأ على «الأفعى والحيَّة ويدوس الأسد والتنين» (مز٩٠: ١٣)، إنْ لم يُطَهِّر نفسه أولًا - بأقصى ما في طاقة الإنسان- وأنْ يتأيَّد بقوَّة ذلك الذي قال لِرُسُلِهِ: «هَا أَنَا أُعْطِيكُمْ سُلْطَانًا لِتَدُوسُوا الْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبَ وَكُلَّ قُوَّةِ الْعَدُوِّ.» (لو١٠: ١٩).

حاجتنا للرُّوح القُدُس للغلبَةِ وللتبنِّي:

فلو كانت طبيعة الإنسان لها القدرة بدون سلاح **الرُّوح القُدُس** الكامل أنْ تَقِف: «ضِدَّ مَكَايِدِ إِبْلِيسَ.» (أف٦: ١١)، لما كان الرسول قد قال بتأكيد: «إِلهُ السَّلاَمِ سَيَسْحَقُ الشَّيْطَانَ تَحْتَ أَرْجُلِكُمْ سَرِيعًا.» (رو١٦: ٢٠). وأيضًا: «الَّذِي الرَّبُّ يُبِيدُهُ بِنَفْخَةِ فَمِهِ» (٢ تس٢: ٨). لهذا السبب أيضًا قد أوصانا **الرَّبُّ** أنْ نُصلِّي ونطلب قائلين: «وَلاَ تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ، لكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ.» (مت ٦: ١٣).

فإنْ لم تُخلِّصنا معونة القُوَّة العليا من **سهام الشرير الملتهبة**، وإنْ لم نُحسب أهلًا لأنْ نكون أبناءَ بالتبني، فإن حياتنا على هذه الأرض تكون حينئذٍ باطلة وبلا هدف، إذ نوجد بعيدين عن **قوَّة الله**.

لذلك فمن يريد ويشتهي أنْ يصير شريكًا في المجد الإلهي، وأن يرى كما في مرآة صورة **المسيح** في داخل عقله، فينبغي أنْ يطلب معونة **الله** التي تتدفق منه بقوَّة، ويطلبها بِحُبٍّ مشتعل لا ينطفيء وبرغبة حارَّة من كُلِّ قلبه وكُلِّ قدرته، ليلًا ونهارًا، هذه المعونة الإلهيَّة التي لا يمكن نوالها، كما قلتُ سابقًا إنْ لم يتخلَّ الإنسان عن **لذة العالم وعن شهوات ورغبات القوَّة المُعادية**، والتي هي أجنبيَّة عن النور، ومخالفة له **وهي من نشاط وعمل الشِّرير**، وليس لها أيُّ قرابة أو مشابهة لعمل الصلاح بل هي غريبة تمامًا عنه.

حالة الإنسان العتيق:

لذلك، فإذا أردنا أنْ نعرف لماذا نحن الذين قد خُلقنا في كرامة ووُضعنا لِنَحيا في الفردوسِ، صرنا بعد ذلك «مثل البهائم التي لا تفهم وشُبهنا بها» (مز ٤٨: ١٢، ٢٠)، إذ قد سقطنا من المجد الأصلي، فاعرف أنَّنا بواسطة التَّعدي، **صرنا عبيدًا للأهواء الجسديَّة**. لقد أخرجنا أنفسنا من «أرضِ الأحياء المغبوطة» (مز ١١٤: ٩)، وسِرْنَا إلى الأسرِ حيث لا نزال «جالسين على أنهار بابل» (مز ١٣٦: ١).

ولأنَّنا لا نزال محبوسين في «مصرَ»، لذلك فإنَّنا لم نَرِثْ بعد أرض الموعد، «الَّتِي تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلًا» (خر٣:٨). إنَّنا لم نتخمَّر بعد «بِخَمِيرَةِ الإِخْلاَصِ» (١كو ٥: ٨)، ولكنَّنا لا نزال في **«خميرة الشَّر»**. إنَّ قلبنا لم يُرشَّ بعد بدم الله، لأنَّ **«فخ جهنم»** (أم ٩: ١٨ السبعينيَّة)، وصنارة الخطيَّة لا تزال منصوبة فيه.

إنَّنا إلى الآن لم نقبل بهجة خلاص **المسيح**، لأنَّ «شوكة الموت» (١ كو١٥: ٥٥)، لا تزال جذورها فينا. إنَّنا لم نلبس بعد «الإنسان الجديد، المخلوق بحسب الله في القداسة» (أف٤: ٢٤). لأنَّنا لم نخلع بعد «الإِنْسَانَ الْعَتِيقَ الْفَاسِدَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ الْغُرُورِ» (أف ٤: ٢٢). إنَّنا لم نحمل بعد «صُورَةَ السَّمَاوِيِّ» (١كو١٥: ٤٩). ولم نصر مُشابهين

«صُورَةَ جَسَدِ مَجْدِهِ» (في ٣: ٢١). إنَّنا لم نعبد الله «بالرُّوحِ والحقِّ» (يو ٤: ٢٤) لأنَّ «الخطيَّة تملك في جسدنا المائت» (رو٦: ١٢).

إنَّنا لم نرَ بعد «مَجْدَ اللهِ الَّذِي لاَ يَفْنَى» (رو١: ٢٣)، لأنَّنا لا نزال تحت سطوة «الليل المظلم» (مز٢: ١١). وإلى الآن لم «نَلْبَسْ أَسْلِحَةَ النُّورِ» (رو١٣: ١٢)، لأنَّنا لم نلقِ عنا سلاح الظلمة وسهامها وأعمالها. نحن «لم نتغيّر بعد عن شكلنا بتجديد أذهاننا» (رو١٢: ٢)، لأنَّنا لا نزال «مشاكلين ومطابقين لهذا العالم» (رو١٢: ٢)، «في الذهن الباطل» (أف ٤: ١٧).

إنَّنا لم «نتمجَّد بعد مع المسيح، لأنَّنا لم نتألَّم بعد معه» (رو٨: ١٧). إنَّنا لا «نحمل سماته بعد في جسدنا» (غلا ٦: ١٧)، لأنَّنا لا نحيا في سرّ صليب **المسيح**، لأنَّنا لا نزال في «أهواء وشهوات الجسد» (غلا ٥: ٢٤). إنَّنا لم نَصِرْ بعد «ورثة الله ووارثون مع المسيح» (رو ٨: ٧)، لأنَّ «روح العبوديَّة» لا يزال فينا وليس «روح التبنِّي» (رو٨: ١٥)، وحتى الآن لم «نصر هيكلًا ومسكنًا للرُّوح القُدُس» (١كو٣: ١٦)، لأنَّنا لا نزال هيكلًا للأصنام ومستودعًا لأرواح الشَّر بسبب تعلُّقنا بالشَّهوات.

وفي الحقيقة أنَّنا إلى الآن لم نحصل على بساطة السيرة واستنارة العقل. وإلى الآن لم نُحسب أهلًا لنوال «اللبن العقلي العديم الغش» (١بط٢: ٢)، والنموّ الرُّوحي غير المنظور. وإلى الآن لم ينفجر النهار ولم يطلع كوكب الصبح في قلوبنا. إنَّنا لم نمتزج «بشمس البرّ» (ملا ٤: ٢). ولا ابتدأنا أنْ نُضيءَ بأشعته. إننا لم نقبل بعد «شبه الرَّبِّ» (تك ١: ٢٦)، ولا صرنا «مشاركين للطبيعة الإلهيَّة» (٢بط١: ٤).

وإلى الآن لم نتحوَّل إلى ذلك الأرجوان الملوكي الحقيقي، ولا صرنا صورة الله الحقيقيَّة. إنَّنا لم نُسْبَ بعد بالحبِّ الإلهي ولا انجرحنا بمحبة العريس الروحانيَّة. إنَّنا لم نعرف بعد تلك الشَّركة السرِّية التي تفوق الوصف، ولم نعرف القُوة والسَّلام الموجودَيْنِ في القداسة. وبكلمة واحدة فإنَّنا لسنا بعد «جنسًا مختارًا، كهنوتًا ملوكيًا، أمة مقدسة، شعب اقتناء» (١بط٢: ٩)، لأنَّنا لا نزال إلى الآن «حيَّات أولاد أفاعي» (مت ٢٣: ٣٣).

أنوح وأبكي أمام الله على شقاوتنا:

وكيف لا نكون سوى حيَّات، ونحن لا نُطيع **الله** بل نعيش في العِصْيَانِ الذي دخل إلينا بواسطة الحيَّة. وأنا لا أستطيع أنْ أعرف كيف أبكي وأنوح على شقاوتنا هذه كما تستحقُّ، ولا أعرف كيف أصرخ بصوتٍ عالٍ باكيًا أمام **الله** الذي يستطيع وحده أنْ ينزع منِّي الخطأ المزروع فيَّ. «كيف أرنم ترنيمة الرَّبِّ في أرضٍ غريبة» (مز ١٣٦: ٤)، كيف أنوح على أورشليم؟ وكيف أهرب من عبودية فرعون القاسية؟ وكيف أهجر مكان الإقامة الدَّنس؟.

وكيف أستطيع أنْ أُنكر أو أُجمِّد الطغيان المُرّ؟ وكيف أستطيع أن أخرج من أرض مصر؟ وكيف أستطيع أن أعبر البحر الأحمر؟ وأسير في وسط البريَّة الكبرى؟ وكيف أنجو من الهلاك بلدغات الحيَّات؟ وكيف أهزم الغرباء؟ وكيف أحكم الأمم الذين في داخلي تمامًا (١)،

وكيف أتقبَّل أقوال الشَّريعة الإلهيَّة على ألواح قلبي؟ وكيف أرى عمود النُّور الحقيقي والسَّحاب الناشيء من **الرُّوح القُدُس**؟ وكيف أتنعَّم **بِمَنِّ** البهجة الأبديَّة؟ وكيف أشرب الماء من الصخرة المُعطية الحياة؟ كيف أعبر الأردن وأدخل إلى أرض الموعد الجيدة؟ وكيف أعاين رئيس جند الرَّبِّ الذي حينما رآه يشوع بن نون، خَرَّ في الحال ساجدًا؟.

ضرورة العبور والدخول إلى الرَّاحة:

لأنَّني إنْ لم أعبر بكُلِّ هذه، وأُحَطِّم الأمم الذين يعيشون في داخلي فإنني لن أستطيع أنْ أدخل إلى «أقداس الله» وأستريح (مز٧٣: ١٧). «ولا أصير شريكًا في مجد الملك».

لذلك إسْعَ بكلِّ اجتهاد لتكون ابنًا **لله** بلا لوم، وأنْ «تدخل في تلك الرَّاحة» (عب ٤: ١١)، حيث دخل **المسيح** كسابق لأجلنا (عب ٦: ٢٠).

إجتهد أنْ يكون اسمك مكتوبًا في «الكنيسة التي في السماء مع الأبرار» (عب١٢: ٢٣)، لكي توجد عن «يمين العظمة في الأعالي» (عب١: ٣). إسْعَ أنْ تدخل إلى المدينة المقدسة، أورشليم مدينة السَّلام، التي هي فوق، فوق الكُلِّ، حيث يوجد الفردوس. فلا يوجد أمامك طريق آخر للدخول إلى هذه الأمجاد العجيبة السَّعيدة سوى أن تسكب الدموع نهارًا وليلًا مثل ذلك الذي قال: «كُلَّ ليلة أُعَوِّمُ سريري، وبدموعي أبل فراشي» (مز٦: ٦).

وأنتَ تعرف جيِّدًا أنَّ «الذين يزرعون بالدُّموع يحصدون بالابتهاج» (مز١٢٦: ٦). لهذا السبب فإن النبيّ يقول بكل صراحةٍ: «لا تغفل عن دموعي ولا تسكت » (مز ٣٨: ١٢). وأيضًا: «أجعل دموعي أمام عينيك كما وعدت» (مز ٥٥: ٨). وأيضًا: «صارت لي دموعي خبزًا نهارًا وليلًا» (مز٤٢: ٣). وفي مزمور آخر «ومزجتُ شرابي بدموعي» (مز ١٠١: ٩).

قُوَّة الدموع:

لأنَّ الدموعَ التي تُسكب حقًّا من حزن كثير، وكآبة قلب وبمعرفة للحقِّ واحتراق في الدَّاخل، إنما هي طعام للنفس يأتيها من الخبز السماوي الذي سبقت مريم، وأخذت منه حينما جلست عند قَدَمَيِ الرَّبِّ، وبكت بحسب ما شهد لها **المخلص** نفسه. فإنه قال: «فَاخْتَارَتْ مَرْيَمُ النَّصِيبَ الصَّالِحَ الَّذِي لَنْ يُنْزَعَ مِنْهَا» (لو١٠: ٤٢).

فما أثمن تلك الدُّرَر، التي تتساقط مع انسكاب وفيض الدُّموع المغبوطة! ويا لتلك الاستجابة الفوريَّة والانْصاتِ المستمر! وأيُّ عقلٍ قَوِّي حكيم! ويا لشدَّة روح **الرَّبِّ**، التي تتحرَّك بقوَّة نحو عريس بلا عيب! وأي رغبة شديدة وشوق في النفس إلى **الله الكلمة**! وأي شركة حميمة للعروس مع العريس السماوي!.

النَّار الإلهيَّة:

فَتمَثَّل بها إذن يا ابني، إقتدِ بتلك التي ثَبَّتت عينيها عليه وحده، ذلك الذي قال: ««جِئْتُ لأُلْقِيَ نَارًا عَلَى الأَرْضِ، فَمَاذَا أُرِيدُ لَوِ اضْطَرَمَتْ؟» (لو١٢: ٤٩).

فهناك اشتعالٌ للرُّوحِ، هو الذي يُشْعِلُ القلوب نارًا. فإنَّ النَّار الإلهيَّة غير الماديَّة لها فاعليَّة لإنارة النُّفوس وتمحيصها كما يُمتحن الذَّهب النقيّ بنار البوتقة. ولكنها (النَّار الإلهيَّة) تحرق كُلَّ شرٍّ مثل الأشواك والقيود «لأَنَّ إِلهَنَا نَارٌ آكِلَةٌ»» (عب١٢: ٢٩)، « مُعْطِيًا نَقْمَةً لِلَّذِينَ لاَ يَعْرِفُونَ اللهَ، وَالَّذِينَ لاَ يُطِيعُونَ إِنْجِيلَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (٢ تس١: ٨).

وهذه النَّار هي التي عملت في الرُّسل حينما تكلَّموا بألسنةٍ ناريَّةٍ (أع ٢: ٢٥). هذه النَّار هي التي أحاطت ببولس، بالصوَّت الذي أنار عقله ولكنها أعمت بصره (أع ٩: ٣). فلم تكن رؤيته لقوَّة ذلك النور بدون الجسد. هذه النَّار ظهرت لموسى في العليقة، وهذه النَّار، في شكل مَرْكَبَةٍ هي التي اختطفت إيليا من الأرض (٢مل٢: ١١). وداود المبارك كان يطلب فاعليَّة هذه النَّار حينما قال: «امتحني يارب، جربني محِّص كُليتيَّ وقلبي» (مز ٢٦: ٢).

هذه النَّار هي التي ألهبت قلبا كليوباس ورفيقه حينما تكلَّم **المخلص** معهما بعد القيامة. والملائكة والأرواح الخادمة تأخذ من لمعان هذه النار كما هو مكتوب: «الصانع ملائكته أرواحًا وخدامه نارًا ملتهبة» (عب ١: ٧). وهذه النَّار هي التي تحرق الخشبة التي في العين الداخليَّة، لتجعل العقل نَقِيًّا، حتى إذا استرد قوَّة رؤيته الطبيعيَّة، يمكنه أنْ يتفرس بلا انقطاع في عجائب الله كما هو مكتوب: «افتح عينيَّ، لكي أبصر عجائب من شريعتك» (مز ١١٨: ١٨).

هذه النَّار أيضًا تطرد الشياطين، وتنزع الخطايا، ولها قُوَّة القيامة، وفاعليَّة قُوَّة الخلود، وهي نور النفوس المقدَّسة، وسند القوَّات العاقلة.

فَلْنُصَلِّ ولنتوسَّل لتأتي إلينا أيضًا هذه النَّار، حتى بِسَيْرِنَا دائمًا في النُّور، فإنَّنا «لا تعثر بحجر أقدامنا» (مز٩٠: ١٢)، ولا إلى لحظة واحدة، بل «نُضيء كأنوارٍ في العالم»، «ممسِكِين بكلمة الحياة الأبديَّة» (في٢: ١٥)، حتى إذا تَنعَّمنا بخيرات الله بين قديسيه، فإنَّنا نجد راحة مع **الرَّبِّ** في الحياة، ممجدين الآب والابن والروح القدس الذي له المجد إلى الأبد. آمين.

(١) - يقصد الشعوب الوثنية وعبادة الأصنام الأهواء الشريرة.

مخافة الله هي تَقوَاهُ ومحبَّتُهُ

الميتروبوليت أثناسيوس مطران ليماسول

الكنيسة لا تُعارض الجسَد البشريّ. لهذا حَرِصَ الآباء على عدم إتلاف أجسادهم بجهودهم النُسكيَّة. لقد حاولوا إخضاعها **للرُّوح القُدُسِ ووصايا الله**، حتى لا يسعوا وراء ملذَّات وهفوات الجسد، لكنهم لم يقبلوا أبدًا إتلاف أجسادهم. في الأدب الآبائي، هناك مقولة مفادها «**إنَّنا لا نذبح الجسد، لكننا نذبح الأهواء**». إنها الخطيئة والأهواء التي تقتل وليس الجسد الذي هو هيكل الله. وإذا بدا، في بعض الأحيان، أنَّ القدِّيسين يَظهرون قُساه وبلا رحمة في معاملتهم للجسد، فلم يكن الهدف قتل الجسد، بل كما قلنا قتل **الخطيئة** والأهواء. لأنَّ أجسادهم كانت أسرى **الخطيئة** والأهواء التي جابهوها بهذه الطريقة. لم تسمح الكنيسة للناس بقتل أو تشويه أجسادهم سعيًا وراء بعض الفضيلة. وإلى جانب ذلك، في جوِّ الكنيسة، علينا أيضًا أنْ نتعلَّم كيف نتغلَّب على الاختلاف بين الجنسين. بعبارة أخرى، يجب أنْ نتعلَّم أنْ ننظر للآخرين ليس من منظور جِنسي أو جسدي، بل باعتبارهم صُوَرًا لله، كإخوتنا وأخواتنا، كأشخاص مخلوقين للتقديس والتمجيد. إذا رأيناهم في هذا الضَّوء، فلن ننظر إليهم بطريقة خاطئة، بل بطريقة مقدَّسة وفاضلة. هذه هي نظرة الكنيسة إلى الجسد البشري.

يقول الله في العهد القديم: «سَأَسْكُنُ فِيهِمْ وَأَسِيرُ بَيْنَهُمْ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهًا». يتكلم الله شخصيًّا، قبل ميلاد **المسيح**، ويقول إنَّهُ سيصنع شعبًا خاصًا به. لا يوجد عرقيَّة في الكنيسة. لهذا نحن نعمل جميعًا معًا، بغضِّ النظر عن الأصل العرقي، ودون أنْ يعني هذا بطبيعة الحال تجاهلَ وطننا وأمتنا. لكننا في الكنيسة نتجاوز هذا. لذا، في الكنيسة هناك شعب جديد، أمة جديدة. إنَّ الأشخاص الذين قال الرُّوح القُدُس منذ آلاف السنين أنَّ الله يسير في وسطهم، ويكون إلههم، هم في الواقع أُمَّة المسيحيِّين. نحن شعب جديد ولا نعتمد على الأصول العرقيَّة. ولهذا يقول النبي إشعياء: «فاخرجوا من وسطهم واعتزلوا يقول الرب ولا تمسوا نجسًا». هذا في الواقع يردِّده القديس بولس، نقلًا عن إشعياء.

يقول الله أنَّهُ سيقبلنا وسيصبح أبانا وسنكون أبناءه وبناته. بهذه الطريقة، يحثنا الله على فصل أنفسنا، ليس عن الآخرين، بل عن **الخطيئة**، أي عن النظرة الدنيويَّة. عندما يخبرنا أنْ نترك العالم وألَّا نحبَّه، فهو لا يقصد إخواننا من البشر، ولكن الطريقة الدَّهريَّة للنظرِ إلى الأشياء، أي **الخطيئة**. الذين يريدون أنْ يتبعوا **المسيح** لا يمكنهم فقط أنْ يفعلوا ما يفعله الآخرون وحسب. لكي تتبعوا **المسيح**، يجب أنْ يخبركم قلبكم بذلك وعليكم أنْ تتركوا وراءكم النظرة الدنيويَّة. عليكم قطع كل اتصال مع **الخطيئة**. عندئذٍ يصبح الله أباكم وتصبحون أبناءه وبناته. هذا مُعطى مطلق، لأنَّهُ عندما يقول الله شيئًا ما فإنَّهُ يكون مختومًا ومحقَّقًا من صحته ومكرَّرًا على مدار القرون. الله لا يترك أحدًا. **لماذا إذن نحن جبناء وكسالى؟** لدينا وعد الله. لذلك فلنتَّخذ الخطوة الأولى: أنْ نخالف طريقة التفكير القائمة والدَّهريَّة، وبعد ذلك سيصبح الله أبانا ونحن أبناءه وبناته.

يتابع القديس بولس قائلًا:«فَإِذْ لَنَا هذِهِ الْمَوَاعِيدُ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ لِنُطَهِّرْ ذَوَاتِنَا مِنْ كُلِّ دَنَسِ الْجَسَدِ وَالرُّوحِ، مُكَمِّلِينَ الْقَدَاسَةَ فِي خَوْفِ اللهِ.» (٢ كو٧: ١). أي يجب أنْ نطهِّر أنفسنا من كل **خطيئة** تُرتكب سواء في الجسد أو الفكر أو الرُّوح، وأنْ نعيش حياة مقدَّسة في مخافة الله. خوف الله ليس خوفًا نفسيًّا، بل هو وعيٌ لمحبَّتِهِ ورهبَةٌ نشعر بها في نفوسنا تجاهه عندما نتأمَّل عظمة قداسته وطهارته. عندما نعاين هذه القداسة ونُدرك مَن ينبغي أنْ نكون ومَن نحن، ونخاف على انقطاع علاقتنا به، يكون هذا هو خوف الله. خوف الله بطريقة نفسيَّة معناه غياب المحبَّة الحقَّة. يقول الأنجيليّ يوحنا أنَّ المحبة الكاملة تطرد الخوف. يقول القديس أنطونيوس: «أنا لا أخاف الله لأني أحبه». لذا فإنَّ مخافة الله هي تبجيله ومحبته. إذا كنتُ أحبُّ الله أكون حريصًا على ألَّا أفقد هذه المحبَّة، ويزداد هذا الحرص بقدر ما تزداد هذه المحبَّة.



حضور الله

وقت المرض والحزن والاكتئاب واليأس

للأب . أنتوني م. كونياريس



الجهاد ضدَّ السرطان

✝ سلَّمت امرأة حياتها تمامًا للهِ بعد كفاحٍ مع السرطان دام مدَّة عشر سنوات، فكتبت تقول: «أُحِلْتُ إلى اختصاصيِّين في مرض السرطان في **جامعة جون هوبكينز**، وكنتُ أذهب إلى هناك كُلَّ ثلاثة أشهر لإجراءِ الفحوصات اللَّازمة، وقد بَيَّنْتُ لهم بكُلِّ وضوح، تمامًا مثلما فعلتُ مع أطبائي السَّابقين: أنَّني **لا** أضَعُ حياتي **ولا** مصيري في أيديهم، وأنَّهُ يوجد في حياتي رفيقٌ أعلى وهو **المسيح** فِيَّ. إنَّ جسدي هيكلٌ لروحِهِ، وأنَّني أنتمي له، ولا يوجد شيء – **حتى ولا السَّرطان** – يمكنه أنْ يفصلني من حضرته أو حُبِّه».

لقد وَضَعَتْ هذه المرأةُ حياتها جزءًا وكُلًّا في يديِّ **يسوع المسيح** ملكها. إنَّه يوجد نوعٌ خاصٌ من الشِّفاء الدَّاخلي والسَّلام يأتي من مثلِ هذا التسليم.

إنَّ السَّرطان محدودٌ جدًّا... ولا يُمكنه أنْ يَشُلَّ الحُبَّ، ولا يمكنه أن يُضعضع الرَّجاء، ولا يمكنه أنْ يأكل الإيمان، ولا يمكنه أنْ يلتهم السَّلام، ولا يمكنه أنْ يُحطِّم الثقة، ولا يمكنه أنْ يقتل الصداقة، ولا يمكنه أنْ يحجب الذكريات، ولا يمكنه أنْ يُسكِت الشَّجاعة، ولا يمكنه أنْ يغزو النَّفس، ولا يمكنه أنْ يُقَلِّل مِنَ الحياةِ الأبديَّة، ولا يُمكنه أن يُطفيء الرُّوح، ولا يمكنه أنْ يُقَلِّل مِنْ قوَّةِ القيامة.

المِحَن تُصَيِّر الإنسان أكثر تألُّقًا ومجدًا أمام الله والناس، إنْ عرفوا كيف يحتملونها بِجَلَدٍ – القديس يوحنا الذهبيّ الفم

المونيتور – تخطيط القلب الكهربائي

✝ استفسرت مريضة مِنَ الطبيب أثناء فحص طبيٍّ دوري يُجرَى لها بخصوص أصوات دقَّات القلب المُصاحبة لتخطيط القلب الكهربائي المُتَّصل بقلبها والملتصق بجسدها، وقالت: «لماذا لا تُبيِّن الشَّاشة خطًا مستقيمًا، بدلًا من تلك الموجات الصاعدة والهابطة؟». فأجابها الطبيب: «إنْ كان هذا الخط مستقيمًا، فهذا يعني أنَّكِ مَيِّتة، إنَّ هذه التقلبات إلى أعلى وإلى أسفل تدلُّ على أنَّكِ بِصِحَّةٍ جيِّدة، وأنَّكِ على قيد الحياة».

✝ وبطريقة مماثلة، فإنَّ طبيبنا الإلهيّ العظيم يسمح بالتَّقلبات في حياتنا الرُّوحيَّة، حتى يتقوَّى إيماننا ونستمرّ في نموِّنا نحو الشِّبه الإلهيّ.

✝ بدون **الأوْدِية والوِهاد المنخفضة** التي نعبر خلالها، فإنَّنا لن نَصِل إلى أعلى القِمَم.

إنَّ الله هناك، عند نقطة التوتُّر القُصوَى، عند نقطة الانْكسار، في وسط العاصفة؛ وبطريقةٍ أُخرى يمكننا أن نقول إنَّ قَطع الأمل يكون عند مركز الأشياء، إن كُنَّا مستعدِّين للعبورِ من خلاله ... اليوم الذي فيه يكون الله غائبًا ويكون فيه صامتًا - يُشَكِّل هنا بدء الصلاة. ليس عندما يكون لنا كلام كثير لنقوله. ولكن عندما نقول له: « يا الله، لا يمكنني أن أحيا بدونك، لماذا تكون قاسيًا هكذا، لماذا تصمُت إلى هذا الحدّ؟». علينا أنْ نبلغ هذه المعرفة، وإلَّا فالموت مصيرنا! المعرفة التي تقتحم المكان، إلى الموضع الذي نكون فيه في الحضرة الإلهيَّة. **المطران أنتوني بلوم**

الله سوفَ يُكمِّلنا

✝ يوجد مَنْ يقولون: إنْ كان لنا إيمان كافٍ، فإنَّ الله سوف يشفي كُلَّ أمراضنا، ولنْ يكون هناك ألَمٌ فيما بعد. على مثل هؤلاء أنْ يقتربوا أكثر من **كلمة الله**، يقول بولس الرسول: «لأَنِّي حِينَمَا أَنَا ضَعِيفٌ فَحِينَئِذٍ أَنَا قَوِيٌّ.» (٢كو ١٢: ١٠).

✝ كما يقول: «قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تُكْمَلُ» (٢كو ١٢: ٩). هذا سوف نصير إليه عندما يبلغ **ملكوت الله** ملأه، حيثُ لا يكون ألم أو معاناة أو موت فيما بعد. وإلى أنْ يتمَّ هذا، فإنَّ **الله** يُكَمِّلنا.

✝ يقول **رالف إرسكين** وهو راقدٌ مُحَطَّمٌ من الألم: «لقد عرفتُ عن الله منذ أن وصلتُ إلى فراش الألم هذا، أكثر ممَّا عرفته طوال حياتي».

✝ كما هتفَ شخص ياباني مسيحيّ، وهو يَصِف ما كان يشعر به عندما كان يُفَكِّر في أنَّه سوفَ يُداهمه العمى: « إنَّ الظلام هو قدس الأقداس، حيث لن يُمكن لأحدٍ أنْ يسلبني! في الظلام أتقابل مع الله وجهًا لوجه».

✝ وفي الرسالة إلى العبرانيين نجد المقولة المدهشة، والتي هي بالتأكيد واحدة من المقولات المختصرة الجريئة عن حياة **يسوع** المدوَّنة: «مَعَ كَوْنِهِ ابْنًا تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ.» (عب ٥: ٨). كما نقرأ في سفر العبرانيين، أنَّ **الله** أكمَلَ **يسوع** عبر الآلام. « أَنْ يُكَمِّلَ رَئِيسَ خَلاَصِهِمْ بِالآلاَمِ.» (عب ٢: ١٠).

✝ كتب **الكاتب الروحي العظيم جورج ماكدونالد**: «قد تألَّم ابن الله حتى الموت، لا مِن أجل أن يتألَّم الإنسان، ولكن لتكون آلامهم آلامًا تُشبهه».

في الظلام أتقابل مع الله وجهًا لوجه - كاجاوا



«أيُّها الرَّبُّ وسيِّد حياتي أَعتقني من روح البطالة والفضول، وحبّ الرئاسةِ والكلام البطَّال، وأنعِم عليَّ أنا عبدك الخاطئ بروح العفَّة واتضاع الفكر والصبر والمحبة، نعم يا ملكي وإلهي هَبني أن أعرف ذنوبي وعيوبي وألَّا أدين إخوتي، فإنَّكَ المبارك إلى الأَبدِ، آمين.»

عن الكلام البطَّال

عن الكلامِ البَطَّال يُصلّي القديس أفرام السوري من أجل ما يقوله النبي داود في المزمور: «اجْعَلْ يَا رَبُّ حَارِسًا لِفَمِي. وبابًا حصينًا على شفتيَّ» (مزمور ١٤٠:٣). **والرَّبُّ يسوع المسيح** نفسه قال: «إِنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ بَطَّالَةٍ يَتَكَلَّمُ بِهَا النَّاسُ سَوْفَ يُعْطُونَ عَنْهَا حِسَابًا يَوْمَ الدِّينِ.» (متى ١٢:٣٦). فَكِّروا في مدى جَدِيَّة الأمر، ومدى صعوبة ذلك: إعطاء جواب عن كل كلمة بطَّالة.

لكن أخبروني، هل هناك أي شيء آخر يمكن التعامل معه بسهولة أكثر من الكلمات؟ إنَّهُ لأمرٌ مدهش كيف لا يفهم الناس الأهميَّة الهائلة الجسيمة للكلمات البشريَّة. إنَّ قُدرتنا على الكلام تجعلنا مشابهين **لله** نفسه إلى حدٍّ كبير. خلق **الله** العالَمَ كلَّه بكلمة (تكوين ١:١)، إذ لكلمته قُوَّةٌ عظيمةٌ جبَّارةٌ. أنتم تعلمون أنَّ النبيّ إيليا أقام الموتى بكلمة (ملوك الأول ١٧:٢١-٢٢)، وبكلمته أوقف المطر وأغلق السماء وأحدث مجاعة (ملوك الأول ١٧:١)، ثم أحدَرَ المطر إلى الأرض (ملوك الأول ١٨:٤٢-٤٥).

ما هي قُوَّة الكلمة؟ لا تظنُّوا أنَّ كلمةً فالتة من الفم تتبعثر في الهواء ولا يبقى من الكلمة شيء. هذا ليس صحيحًا. تعيش الكلمة، تعيش لقرون، لآلاف السنين. الكلمات التي قالها **أنبياء الله العظماء**، الذين عاشوا قبل عدة قرون من **ميلاد المسيح**، لا تزال حيَّة. كلمات موسى العظيمة، الكلمات البليغة التي قالها الرسل القديسون، تلك الكلمات التي خرجت من شفاه نسّاك **الله**، تعاليم كنيسة **الله**، لا تزال حيَّة لآلاف السنين.

وإذا استمرت الكلمة حيّة لآلاف السنين، فإنها شيءٌ مهمٌّ لأبعد حدٍّ. إنَّ الكلمات الصادرة من أفواهنا تُحدِثُ دائمًا تأثيرًا عميقًا جدًّا على الأشخاص من حولنا، حتى على البعيدين عنَّا. كُلُّ كلمة حكيمة تعيش في قلوب الناس وتُؤتي ثمارها لسنواتٍ عديدة. وكُلُّ **كلمة شريرة - افتراء، أكاذيب، ثرثرة** - تعيش أيضًا لفترة طويلة جدًّا، ولسنوات عديدة، تنغرس في عقول وفي قلوب القريبين والبعيدين، وتوجِّه أفكارهم ورغباتهم. إنهم، بسماع أقوالنا **الشَّريرة**، إنما يتَسمَّمون بها فيحذون حذوَنا مُطلقين نفس الكلمات **الشَّريرة** السَّامة.

إنَّ كلمات القدِّيسين الحميدة والحكيمة تخلق الحقيقة في العالم وتصنع الخير الأبدي، بينما الكلمات **الشَّريرة والخاطئة** تجلب العار والكراهيَّة وتسبب ضررًا كبيرًا للناس من حولها، حتى للبشريَّة جمعاء.

إنَّ الكلمات تحيا، تتدفَّق مثل موجات الرَّاديو التي تندفع عبر الفضاء وتغمُر قلوب الناس وعقولهم. الكلمات هي قُوَّة هائلة تربط بين الناس أو تفرِّقهم. إنهم يتَّحدون عندما تكون الكلمة حاملة للحقِّ، ويفترقون عندما تكون مشحونة بالافتراء والحقد تجاه الناس. إذا حُرِم الناس من الكلام، يصيرون كالحيوانات وتضطرب الحياة البشريَّة.

هذا هو مدى عِظَم وعمق معنى الكلمة البشريَّة. لهذا يصلِّي القديس أفرام من أجل الانعتاق من الكلام البطَّال، ومن الكلام الفارغ. جميعكم قد التقيتم بالكثير من الأشخاص في حياتكم، وخاصة نساء، من الذين يثرثرون ويتكلَّمون ويهذرون بلا توقف، وباندفاع لا يُقاوم، وفي نفس الوقت لا يعرفون أنَّ لغتهم مُرهِقة: إنها تطحن وتطحن

وتطحن. كل ما يقولونه فارغ ولا يحتاجه أحد. يُصلي القديس أفرام السوري إلى اللهِ لينقذنا من الكلام البطَّال. كان خائفًا من السقوط لِقلَّا يدمِّره لسانه، فيما هؤلاء المتكلمون التعساء لا يخافون شيئًا.

أنتم تعلمون أنَّ الناس بالغالب يتحمَّلون هذا الكلام الفارغ — إذ هم يثرثرون والناس يسمحون لهم بالتَحدُّث إلى أنفسهم، فيجعلون الأمر يبدو وكأنهم يستمعون إليهم بسرور، بينما هم يعرفون في أعماق قلوبهم أنَّ الكُلَّ سَئِمَ منهم ويكرههم. عظيمٌ جدًّا هو شَرُّ الكلام البطَّال، الشَّر الذي تُسَبِّبه ثرثرتهم.

إذا كان اللسان يتكلَّم بالباطل، فإنَّ الأفكار تجولُ ولا تُرَكِّزُ على أيِّ شيء عميق حقيقي مُهمًّا. إنها تطوف بلا هدف في كل مكان كما يتجوَّل كَلْبٌ هجين منبوذ هازًّا ذيله. إنَّ أفكارهم ومشاعرهم، وكذلك اتِّجاه رغباتهم ونشاطهم — جميعها فارغة وغير مُهِمَّة. تتضوَّر النفس جوعًا، يثير الإنسان اشمئزاز الآخرين، ويلحق بنفسه ضررًا جسيمًا. هذا هو معنى الكلام البطَّال.

إنَّ الحكماءَ الذين يعيشون حياة روحيَّة لا يتكلَّمون كلامًا باطلًا ابدًا، فهم دائمًا صامتون مُرَكِّزون. **في اليونان القديمة**، كان الفلاسفة والحكماء يحظون بتقدير كبير. لم يكن الفلاسفة يقبلون أيَّ شخص كتلميذ لهم قبل أنْ يُثبِتَ أنَّهُ **يعرف كيف يصمت**. هل ينجح أيٌّ من المتكلمين البطَّالين الآن في اختبار الصَّمت؟ **بالطبع لا**.

إذا كانت رذيلة الكلام البطَّال ثقيلة جدًّا، فكيف نتخلَّص منها؟ ماذا نفعل بلسانِنَا الذي لا يمكن لجمَهُ؟ عليكم أنْ تفعلوا ما فعله القديس أفرام السوري: أنتم بحاجة للصلاة إلى اللهِ من أجل الانعتاق من هذه الرَّذيلة، وسيمنحكم **الرَّبُّ يسوع المسيح** ما تطلبونه. من الضروريّ تجنُّب التواصل مع الأشخاص الذين يتحدثون باطلًا، والابتعاد عنهم، والبحث عن صحبةِ قليلٍ من الحكماء الذين يفتحون أفواههم ليقولوا شيئًا مفيدًا، والَّذين لنْ تسمعوا منهم كلمات باطلة أو ضارَّة بالنَّفسِ.

راقبوا أنفسكم بعنايةٍ شديدَةٍ، واكتسبوا عادة الانتباه إلى ما تقولونه، وما يفعله لسانكم، وتعوَّدوا على إبقاء لسانكم تحت السَّيطرة. لا تدعوه يتحدَّث باطلًا. تذكَّروا في المساء ما قاله في النهار، **هل ثرثرتَ، هل أساء إلى أحد، هل كذب، هل خادع**. إذا تعلَّمتم هذه العادة، فسوف تعتادون على الانتباه إلى اللسان، ومراقبة كل حركة وإيقافها.



اليقظة السَلبيَّة هي عندما نُقاوم هجمات الأفكار السَّيئة. بمجرَّد ظهورها، نرفع أذهاننا إلى اللهِ قائلين: «**يا رب، لقد جاء أعدائي، ردَّ عني ضدهم**»، ونحاول ألَّا نسمح لأذهانِنَا بالاستسلام. كان للقديس سوفروني قولٌ مأثور: «لا تُخضِعْ عقلك»، أي لا تستسلم لِفكرِ ٱلعدو الذي يهاجمك. اليقظة السلبيَّة هي أنْ نقول «**لا**» لكُلِّ فكرةٍ سيِّئة تقترب منا. يخبرنا الأب سوفروني: أنَّ كُلَّ الأفكار السَّيئة ستمرُّ من خلالنا حتى نقول «**لا**» لها جميعًا، وفي النهاية سيبقى الله وحده. نحن لسنا ساذجين، كما يقول القديس بولس: «لسنا جاهلين بأفكار العدو» (٢ كور٢: ١١)، نحن نعرفها لكنَّنا لا نقبلها.

اليقظة الإيجابيَّة هي كُلُّ ما نقوم به لكي نلبس القُوَّة من العلاءِ، حتى نُصبح مخيفين للغاية لخصومنا، لدرجةٍ أنهم لا يستطيعون الاقتراب منَّا. إذا كُنَّا نعيش في **أتون التوبة** هذا، وقلوبنا تحترق **بالدُّموع والرِّثاء المرّ**، نندب أنفسنا، إذا كانت قلوبنا حارَّة ومتحمِّسة، فببساطة، العدوّ لا يستطيع الاقتراب فنتمتَّع بحريتنا. يقول القديس سمعان اللاهوتي الحديث: أنَّهُ عندما نقتني قلبًا نادمًا، لا ترتقي إلى أذهاننا أو شفاهنا أيُّ فكرة من العدوّ. تغرق الفكرة في الحلق قبل أنْ تخرج. اليقظة الإيجابيَّة تعني بناء أسوار أورشليم، أي البقاء في أمانِ هذه الجدران، وبناء حالة روحيَّة قادرة أن تمنحنا القُوَّة لرفضِ العدوّ، وطردِ أيِّ فكرة خاطئة بطرفة عين. هذه الحالة الروحيَّة تصبح قُوَّة داخليَّة وهي تتشكَّل بالتوبة. في مثل هذه الحالة، إذا هاجمنا فكرٌ سيء من العدوّ، نشعر باقتراب تلك الفكرة على أنها متأتية من هوى معين قبل أن يتبلور شكلها. نشعر أنَّ طاقة أجنبيَّة معادية تقترب، وإذا أغلقنا الباب، لا نرى حتى ما إذا كانت فكرة كبرياء أو شائبة أو أي شغف آخر. يقول القديس سوفروني: أنَّ هذه علامة على اتحاد العقل والقلب. هذه هي الحالة الطبيعيَّة للإنسان الذي يعيش بحسب وصايا الله. هكذا يشعر الرهبان دائمًا بمقاربة الأفكار قبل أن يروا شكلها الواضح، وهذه يقظة كاملة.

آباء البريَّة في مصرَ في القرن الرابع كانوا يصلُّون باستمرار وبشكل ثابت كي يُعْطَوْا روح التوبة، لأنهم عَلِمُوا أنها ستحميهم وتجعلهم مُخيفين لأعدائِهم. الجهاد هو كيفيَّة تعرية كُلِّ فكرٍ وكُلِّ شكْلٍ نسبيّ من الوجود. ومع ذلك، هذا هو الجزء الأول والأقل أهميَّة بالنسبة لنا: نحن لا نحاول فقط تعرية الإنسان القديم من مشاعره وشهواته، بل بشكل خاص أنْ نلبَس الجديد أي الإنسان السَّماوي المتجدِّد، بنعمة الله غير الفاسدة والتي تبني لنا مسكنًا في السماء. نحن نبني هذه الحالة من القُوَّة الدَّاخلية ضدَّ العدوّ من خلال علاقتنا مع الإله الشخصي، الذي هو بالنسبة لنا الأبديَّة والفردوس. كما يقول الرسول: «فإن حياتنا مستترة في شخص المسيح» (راجع كولوسي٣: ٣). أعظم فضيلة بالنسبة لنا هي التواضع الذي يحفظ المحبة التي هي علاقتنا مع اللهِ الشخصيّ.

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

الفصل السادس والعشرون
(تتمة)



ـ ومضَى **نكتاريوس** بِخُطَى خفيفة، وكأنَّ قَدَميْهِ لا تلامسان الأرض. وخرَجَ من شارع فيلوتيي الموحل لأنَّ المطر هطَلَ منذ وقتٍ قصير. وما أن وصَلَ إلى المدرسة ودخل غرفته حتى تناول ورقة وكتبَ في الحال الرسالة التالية:

« أثينا في ١٠ تشرين الأوّل ١٩٠٤

بناتي الغاليات في الرَّبِّ:

إفرحنَ في الرَّبِّ. إذْ أُعلن لكُنَّ بفرحٍ أنَّ الله قد كشَفَ لنا إرادته المقدَّسة، بخصوص تشييد الدير: لقد قَبِلَ أن يُشَيَّد هذا الدير ويشعَّ. ولم يُبارك ثيوكليطس هذا العمل فحسب، بل إنَّهُ قد أخذه تحت رعايته أيضًا. وقد قال لي أنَّهُ سوفَ يُرسل لنا بعض الفتيات من اسبارطا بعد الأنتهاء من تشييد الدير. وحتى أنَّهُ قَبِلَ دعوتي لزيارة الدير برفقتي. وقد أعلمته برغبة ألكسندرا في بناء كنيسة، وبقدومي لوضعِ حجر الأساس بعد عيد الفصح، فوافقَ على هذا أيضًا. في كُلِّ ذلك تظهر لنا رأفة الله علينا واستجابته لصلواتِكُنَّ.

وَتَقَبَّلْنَ في النهاية تمنياتي الأبويَّة وبركاتي، وافرحنَ في الرَّبِّ».

وما أنْ ذَيَّلَ الرسالة بتوقيعه، حتى وصَلَ البوَّاب لِيُعلِمَهُ بقدوم وفدٍ من الزُّوار من إيچينا، وهم يطلبون رؤيته، فتحيَّرَ بعض الشيء وهو يقول للبوَّاب:

دعهم يدخلون.

وعَرَفَ الأشخاص الخمسة أو الستة الذين دخلوا مكتبه الواحد بعد الآخر. وتذكَّرَ أنَّهُ قد رآهم في الجزيرة، ومن بينهم عَرَفَ الرجُل الأصلع السَّمين والقصير القامة الذي كان أوَّل من طلبَ إليه الصلاة من أجل المطر. فتكلَّمَ من جديد:

ـ لقد جئناكَ يا صاحب السِّيادة لِنُعلمكَ بأنَّنا نُكبنا الآن بإفراط من نوعٍ آخر.

ـ ماذا تعني.

ـ إنَّ السماء تُمطِر. إنَّها تُمْطِرُ دون توقُّف. وهي تتوقَّف احيانًا لساعات، ثمَّ تعود بأكثر غزارة. إنَّ الأنهار تطوف، ومياه البحر المحيطة بالجزيرة، تبدو موحِلةً. وقد غمرت المياه بعض الأقبية. ونحنُ الآن نخشى الغرَق !

فتمتم نكتاريوس:

ـ هذا غريب.

وكان يضحك في السِّرِّ. فقد وجدَ القصة مُسلِّية جدًّا، ولكنه تابَعَ بِلُطف:

ـ لا تخشوا شيئًا.

ـ أسرِع يا صاحب السِّيادة. أسرِع واتلُ صلاة لكي يتوقَّف هذا الطوفان. فنحنُ لم نَطلُب كُلّ هذا المطر.

ثمَّ سادَ الصَّمتُ الذي قَطعه **نكتاريوس** قائلًا:

ـ لا داعي لأن أُصَلِّي، فالله يعرف ما يفعل. بعد ثلاث سنوات ونصف من الجفاف ... كيف تُريدون أنْ تمتلئ آبارُكُم، وأن ترتوي حقولكم، لا تخشوا شيئًا.

ـ فسأله أحد المزارعين بصوتٍ مرتجف، وهو شاب طويل القامة، ضامر الجسم:

ـ هل تعتقد بأنَّ المطر سيتوقَّف؟ فأنا أَجِدُ أنَّ السماء هنا في أثينا تُمطِرُ رذاذًا فقط، وأقلَّ بكثير من هناك.

ـ سوفَ يتوقَّف المطر؛ وستنعمون بالأزهارِ والسعادة.

ثمَّ أجلسهم وقدَّمَ لهم القهوة والكعك. وقد استفادَ من وجودهم ليعرف منهم المزيد عن الجزيرة.

وما أنْ خرجَ سُكَّان الجزيرة حتى سَمِعَ **نكتاريوس** طَرْقًا خجولًا على بابه. وإذْ فتَحَ وجَدَ أمامه شابًا يلبس الجبّة. كان قصير القامة بعض الشيء، ناحلًا، أسود الشعر، وقد ترك لحيته. وكانت عيناهُ الكبيرتان تَشِعّان بالإيمانِ والطهارة والطيبة. وقد عرفَ **نكتاريوس** الشمَّاس جرفاسيوس باراسكيفوبولوس «إنَّهُ بالحقيقة ارشمندريت باتراس الشهير، الذي عُرِفَ بفضيلته وقداسته، ولكنه لاقَ مُعاملة ظالمة من قِبَلِ الإكليروس في عصره». وكان تلميذًا مجتهدًا جدًّا، يُنهي السنة الأخيرة من دراسته بِتَفوُّق. وكان **نكتاريوس** يَكِنُّ له الإعجاب بشكلٍ خاصّ، فمنحه الإذن بزيارته في مكتبه بحريَّة. وسأله:

ـ ماذا يحدث أيُّها الشماس؟

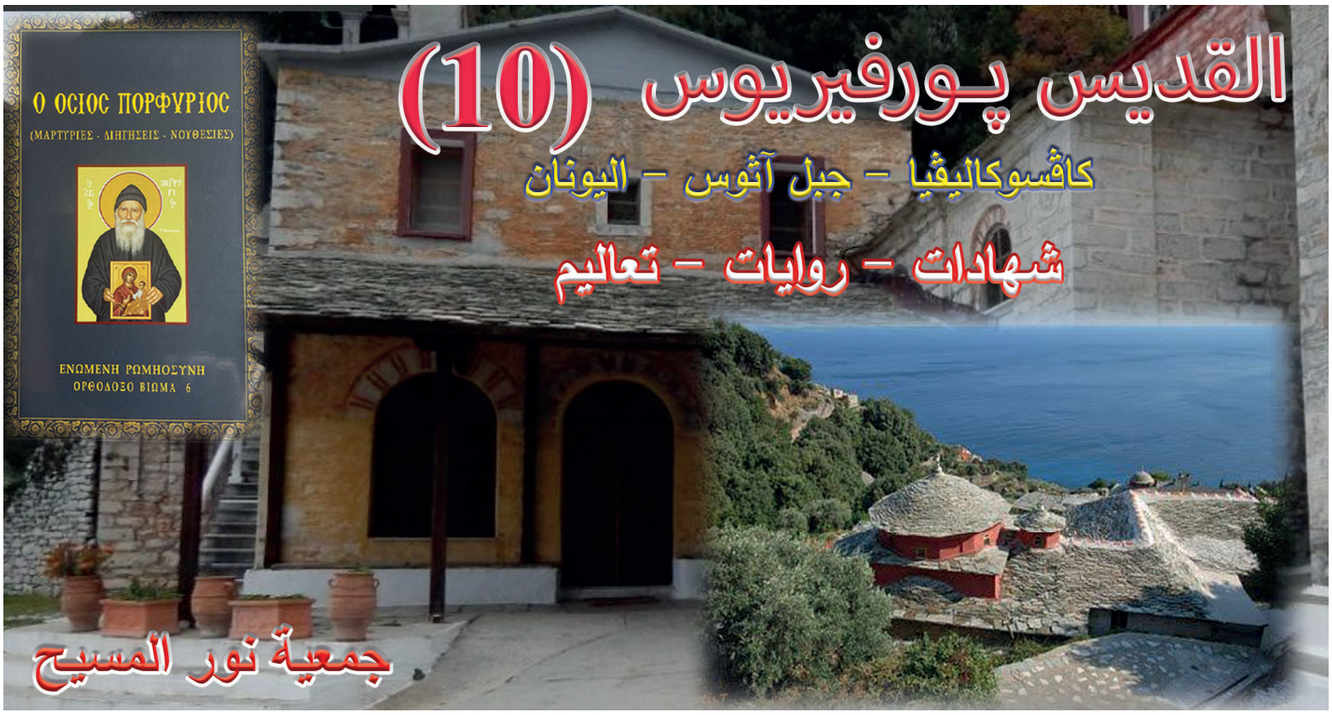
ـ اسمح لي أيُّها المدير المحترم أنْ أُزعجك بخصوص هذه اللعبة الجديدة ...

ـ أيَّةُ لُعبة جديدة؟ أنا لا أذكرها.

ـ إنَّها هذه اللعبة التي تُستخدم فيها طابة من الكاوتشوك، ويُطلَق عليها اسم: «كرة القدم».

ـ وما هي هذه اللعبة بالتحديد؟

(يتبع)



الجزء الأول: شهادات عن القديس

خبرات روحِيَّة مع القدِّيس پورفيريوس وعجائب له

شهادات المتوحِّدة ستيلياني، رئيسة دير الضابط الكلّ (باندوكراتور):

عندما كان يُشاهدنا ويرانا عن قُربٍ، كان يسألنا قائلًا: «كيف تجري قراءة الكتاب المقدّس واللهج فيها؟ وماذا عن تلاوة المزامير والتمعُّن في معانيها، وماذا وكيف تُتلى خدمة الثالوث القدوس من كتاب المعزّي. (ملحوظة: تلاوة المعزّي هي تلاوة خاصَّة، مخصَّصة للثالوث القُدوس، في خدمة منتصف الليل قبيل صلاة القداس الإلهي صباح الأحد).

كان يُعلِّمنا ويُرشدنا كيف يجب أنْ نقرأ ونُطالع الكتاب المقدَّس، ونتلو الصلوات بأسلوب روحي من القلب والفكر والإرادة بخوفٍ وورعٍ وإيمانٍ، وأيضًا كيف يجب أنْ نتعلَّم فضيلة التسامح من القلب والفكر.

كان صيف عام ١٩٩١، في تلك الفترة، قال لي الشيخ پورفيريوس:- رجاءً أن تتفضَّلي وتأتي إلينا أيتها الشيخة الرئيسة (باليونانيَّة: ييروندِيسا، رئيسة دير للمتوحدات)، لأنَّني بحاجة إلى خدمةٍ منكِ، أطلب إليك طلبًا خاصًا: وهو أن تدعمي وتسندي بشكلٍ روحانيّ أُختي في الرهبنة (ييروندِيسا پورفيريًّا) المقيمة هنا (**هذة كانت أُخت القديس بالفعل**)، فاذهبي وارشديها ببعض النصائح والأقوال البنَّاءة، هيَّا، إنَّها الآن فرصة سانحة ومناسبة جدًّا، إذهبي الآن نحو قِلَّايتها، فهي مقيمة الآن هناك.

خرجتُ من عند الشيخ للتوِّ، واصطحبتُ معي إحدى الأخوات من المتوحدات اللواتي رافقنني أصلًا، ودخلنا سويَّةً قلايَّة الرئيسة (ييروندِيسا پورڤوريًّا). في تلك اللحظة بالذَّات، كانت هي تقرأ كتاب المعزّي. فقلتُ لها: «آخ، ييروندِيسا، كم أنَا سعيدة بأن أُشاهدَكِ تقرأين في كتاب المعزّي».

«رفَعتْ طَرْفَها - ييروندِيسا پورڤوريًّا- وحدَّقت بعينيْها نحوي قائلةً:- لديكِ عينان زرقاوان، تشبهان عَيْنَي الشيخ پورفيريوس، هل تعرفين ماذا تعني الأعين الزرقاء؟. إنَّها تعني وتعبِّر: عن العيون السوداء الموجودة عند الكلاب، وصغار الحمير، تلك الأعين الزرقاوات والجميلات، جميعهنَّ تقطُنَّ العواصم. (**ترجمت حرفيًّا**)، (ولكنها تعابير يونانيّة المقصود بها: سخرية واستهزاء، على أنَّ الاشخاص المقيمين أو الساكنين في العاصمة، هؤلاء لهم أنوف شامخة، عالية، إنَّها سمات الأشخاص الذين يحتقرون ويقلِّلون من قيمة الذين يسكنون القرى والضِّياع).

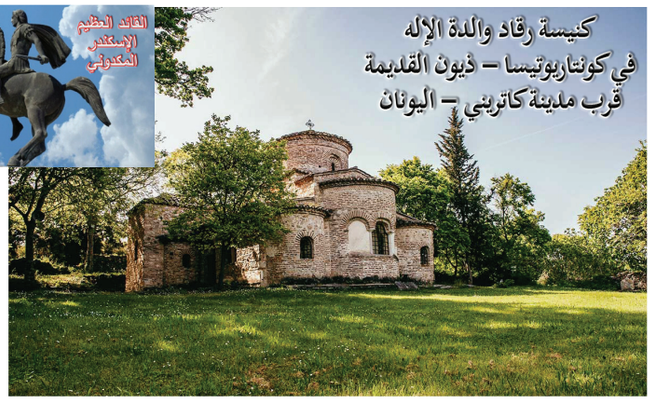
وما أنْ انهت جملتها الأخيرة، وإذ بجرس الباب يدقّ، وفي نفس اللحظة أتت إبنة أُخت الشيخ پورفيريوس، لتُخبرني أنَّ الشيخ ينتظرني في قِلَّايته. وفعلًا أسرعتُ نحوه ودخلتُ القلَّاية، وإذا الشيخ يقول لي: «جَيِّدًا، لهذا السبب أرسلتُكِ الى هناك (إلى قلَّاية ييروندِيسا پورفيريًّا)، أرسلتُكِ لبرهةٍ قصيرة ، لتُساعديها، وتُرشديها بكلمتين روحانِيِّتين، وليسَ للخوضِ في العيون الزَّرقاء والسوداء.

في إحدى المرَّات التي ذهبنا فيها إلى الشيخ پورفيريوس، قال لنا: «إنَّ الموهبة الفريدة والمميَّزة التي أنعَمَني بها اللهُ، وأنا في مقتبل العمر عندما كنتُ يافعًا، تمكِّنُني من الفحص والتمعُّن والفراسة والتشخيص في أمورٍ عديدة، منها: معرفة وجود المياة الباطنيَّة عن مسافةٍ بعيدة، التعرَّف مكان وجود الذخائر المقدَّسة، وهياكل الكنائس القديمة المندثرة، والمدافن والمقابر القديمة المختفيَة؛ الخ...

وقال بشكلٍ قاطع: إنَّ قبر **القائد الإسكندر المكدوني** ليسَ موجودًا في مصرَ، ولا حيثُ يفتِّش علماء الآثار، ولكن قبر القائد الإسكندر العظيم موجدٌ هنا في اليونان، في كاتريني وبالذَّات في «كونتاروتيسا»، بجوار إحدى الكنائس القديمة **لرقاد والدة الإله الدائمة البتوليّة مريم**.

إنَّ الشيخ قُبيل ذهابه الى جبل آثوس ثانية، طلب منَّا سائلًا أن نقوم بخياطة عباءة كهنوتيّة سوداء خارجيّة وعباءة أخرى داخليَّة.

- سوفَ أذهب، قال لي: سأذهب حيث اعتكِف لتوبتي هناك، سأذهب إلى الأبد، وبدون رجعة.



ـ قلتُ له، أيُّها الشيخ: ألَا تبقَى هنا مُقيمًا بجانبنا، لنحظَى منكم على تعزية ومواساة ؟

ـ سأذهب إلى هناك (إلى الجبل المقدَّس) حيث حصلتُ هناك يافعًا على رسامتي الأولى في الرهبنة. سأذهب إلى الجبل المقدَّس هناك أحببتُ الله من كُلِّ نفسي وقلبي وعقلي وذاتي.

بعد مرور أربعة أيام انتقل من أثينا إلى جبل آثوس، ذهب ولم يَعُد، ذهبَ إلى الأبد، لا بل ذهب إلى الأبديَّة مع المسيح الذي أحبَّة حُبًّا جمًّا . كان ذلك في صيف ١٩٩١.



تذكار قطع هامة القديس يوحنا المعمدان المُكرَّمة

يَرِدُ خبر **قطع رأس السّابق المجيد** في الأناجيل الثّلاثة الأولى، متّى (١٤:١-١٢) ومرقس (٦:١٤-٢٩) ولوقا (٩:٧-٩).

مقدّمة:

(١) الآمر بقطع رأسه كان هيرودوس أنتيبّاس المُعَّين من الرومان قَيِّمًا على الجليل والبيريا، وهو ابن هيرودوس الكبير. حكَم كملك ما بين العامَين ٤ق.م و ٣٩ ب.م. تزوّج من امرأة اسمها هيروديَّا. لم تكن الشَّريعة تُجيز زواجه لأنَّ هيروديَّا كانت امرأة أخيه فيليبُّس.

هذا هو فيليبُّس رئيس الرُّبع على إيطوريَّة وتراخونيتيس، المذكور في لوقا ٣:٣، وهو أخ هيرودوس من جهة أبيه لا أمِّه. فيليبُّس كان قد أنجب من هيروديَّا ابنةً هي سالومي. سالومي غير مذكورة في الأناجيل بالاسم، فقط مُعرَّف عنها بـ «ابنة هيروديَّا». اسمها ورد لدى المؤرِّخ اليهوديّ فلافيوس يوسيفوس. تنصُّ الشَّريعة صراحة: «عَوْرَةَ امْرَأَةِ أَخِيكَ لاَ تَكْشِفْ. إِنَّهَا عَوْرَةُ أَخِيكَ.» (لاويِّين ١٨:١٦)، «وَإِذَا أَخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةَ أَخِيهِ، فَذلِكَ نَجَاسَةٌ.» (لاويِّين ٢٠:٢١).

توبيخ القدّيس يوحنَّا لهيرودس:

كان يوحنَّا يقول لهيرودوس: «لاَ يَحِلُّ أَنْ تَكُونَ لَكَ امْرَأَةُ أَخِيكَ» (مرقس٦:١٨)، ويوبِّخه لجميع الشُّرور التي كان يفعلها (لوقا ٣:١٩). «فَحَنِقَتْ هِيرُودِيَّا عَلَيْهِ، وَأَرَادَتْ أَنْ تَقْتُلَهُ وَلَمْ تَقْدِرْ» (مر ٦:١٩). لماذا لم تقدر أنْ تقتله؟ «لأَنَّ هِيرُودُسَ كَانَ يَهَابُ يُوحَنَّا عَالِمًا أَنَّهُ رَجُلٌ بَارٌّ وَقِدِّيسٌ، وَكَانَ يَحْفَظُهُ.» (مرقس ٦:٢٠).

متّى الإنجيليّ يقول قولاً آخر: «فَإِنَّ هِيرُودُسَ كَانَ قَدْ أَمْسَكَ يُوحَنَّا وَأَوْثَقَهُ وَطَرَحَهُ فِي سِجْنٍ مِنْ أَجْلِ هِيرُودِيَّا امْرَأَةِ فِيلُبُّسَ أَخِيهِ» (مت ١٤ : ٣). ويقول أيضًا عن هيرودوس: «وَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَهُ خَافَ مِنَ الشَّعْبِ، لأَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُمْ مِثْلَ نَبِيٍّ.» (متّى ١٤:٥). رغم ذلك كانت هيروديَّا تتحيّن الفُرص لتتخلَّص منه إلى أن كان «يوم موافق» (مرقس ٦:٢١) تمكّنت فيه من إرواء غليلها.

الأمر بقطع رأسه:

«وَإِذْ كَانَ يَوْمٌ مُوافِقٌ، لَمَّا صَنَعَ هِيرُودُسُ فِي مَوْلِدِهِ عَشَاءً لِعُظَمَائِهِ وَقُوَّادِ الأُلُوفِ وَوُجُوهِ الْجَلِيلِ» (مرقس٦:٢١). وفي العشاء دخلت ابنةُ هيروديَّا ورقصت في الوسط فسرَّت هيرودوس والمتَّكئين معه. «مِنْ ثَمَّ وَعَدَ بِقَسَمٍ أَنَّهُ مَهْمَا طَلَبَتْ يُعْطِيهَا.» (مت ١٤ : ٧). «حَتَّى نِصْفَ مَمْلَكَتِي» (مرقس ٦:٢٣)، على حدِّ تعبيره. النصُّ في مرقس يقول: «فَخَرَجَتْ وَقَالَتْ لأُمِّهَا: «مَاذَا أَطْلُبُ؟» فَقَالَتْ: «رَأْسَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ»(مرقس ٦:٢٤)، فيما يُبدي متّى الإنجيليّ: «فَهِيَ إِذْ كَانَتْ قَدْ تَلَقَّنَتْ مِنْ أُمِّهَا» (متّى١٤:٨). لذلك حالما أقسم هيرودوس بأنْ يعطيها مهما تطلب أجابته للوقتِ بسرعة: «أَعْطِنِي ههُنَا عَلَى طَبَقٍ رَأْسَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ» (متّى١٤:٨). هذا أحزن الملك حُزنًا شديدًا. لماذا؟ ربَّما لأنَّه خاف العاقبة من جهَّةِ الشَّعب «وَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَهُ خَافَ مِنَ الشَّعْبِ، لأَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُمْ مِثْلَ نَبِيٍّ.» (متّى ١٤:٥)، وربَّما «لأَنَّ هِيرُودُسَ كَانَ يَهَابُ يُوحَنَّا عَالِمًا أَنَّهُ رَجُلٌ بَارٌّ وَقِدِّيسٌ، وَكَانَ

يَحْفَظُهُ. وَإِذْ سَمِعَهُ، فَعَلَ كَثِيرًا، وَسَمِعَهُ بِسُرُورٍ.» (مرقس ٦: ٢٠)، «فَاغْتَمَّ الْمَلِكُ. وَلكِنْ مِنْ أَجْلِ الأَقْسَامِ وَالْمُتَّكِئِينَ مَعَهُ أَمَرَ أَنْ يُعْطَى.» (متّى١٤: ٨)، وجد نفسه مجبرًا على الإيفاء بما وعد، وكلام الملوك لا يُردُّ، «فَلِلْوَقْتِ أَرْسَلَ الْمَلِكُ سَيَّافًا وَأَمَرَ أَنْ يُؤْتَى بِرَأْسِهِ.» (مرقس٦: ٢٧). «فَمَضَى وَقَطَعَ رَأْسَهُ فِي السِّجْنِ. وَأَتَى بِرَأْسِهِ عَلَى طَبَقٍ وَأَعْطَاهُ لِلصَّبِيَّةِ، وَالصَّبِيَّةُ أَعْطَتْهُ لأُمِّهَا.» (مرقس٦: ٢٨). «وَلَمَّا سَمِعَ تَلاَمِيذُهُ، جَاءُوا وَرَفَعُوا جُثَّتَهُ وَوَضَعُوهَا فِي قَبْرٍ.» (مرقس٦: ٢٩). هذا ما يوافينا به كُلٌّ من متّى ومرقس الإنجيليَّين. أمَّا لوقا فأشار إلى قطع رأس يوحنَّا في معرض الكلام على يسوع. فإنَّهُ إذْ بلغَ هيرودوسَ الملكَ جميع ما كان من يسوع والقوَّات التي كانت تجري على يديه، ارتاب، وإذْ تناهى إليه ما كان الناس يقولونه عن يسوع إنَّهُ يوحنَّا المعمدان، قد قام من الأموات، أو إنَّهُ إيليَّا ظهر أو نبيٌّ من القدماء قام، «فَقَالَ هِيرُودُسُ: «يُوحَنَّا أَنَا قَطَعْتُ رَأْسَهُ. فَمَنْ هُوَ هذَا الَّذِي أَسْمَعُ عَنْهُ مِثْلَ هذَا؟» وَكَانَ يَطْلُبُ أَنْ يَرَاهُ.» (لو٩: ٩). هنا يُشار إلى أنَّ متّى ومرقس يُعطيان الانطباع أنَّ هيرودوس هو الذي ظنَّ أنَّ يسوع هو يوحنَّا قام من الموت. لذلك جاء عن الملك، في متّى، أنَّه قال لغلمانه: «هذَا هُوَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ قَدْ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ! وَلِذلِكَ تُعْمَلُ بِهِ الْقُوَّاتُ» (متّى١٤: ٢). والقول في إنجيل مرقس شبيه بهذا (مرقس ٦: ١٤).

من أقوال الآباء:

يعتبر القدِّيس يوحنَّا الذهبيّ الفمّ في قول هيرودوس لغلمانه: «هذَا هُوَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ قَدْ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ! وَلِذلِكَ تُعْمَلُ بِهِ الْقُوَّاتُ» أنَّ في موقف الملك «إجلالًا وخوفًا في آنٍ، وأنَّ في مهابة هيرودوس دليلًا على عظمة الفضيلة وتأثير يوحنَّا فيه رغم توبيخه له. حتَّى الأشرار يُعجَبون بالفضيلة ويمدحونها. من هنا، في نظر الذَّهبيّ الفمّ، حُزْنُ هيرودوس. ولا يفوت قدِّيسَنا أن يشير إلى مكائد الشِّرِّير من خلال الرَّقص والسُّكر. ففيما أضحت ابنة هيروديَّا متورِّطة من خلال الرَّقص في جريمة من أبشع الجرائم التي تحدَّث عنها التَّاريخ، أطلق هيرودوس، بتأثير الخمرة والخلاعة والمجد الباطل، قَسَما جعله، خلافًا لقناعته، قاتلًا لأعظم مواليد النِّساء.»

وأورد القدِّيس غريغوريوس بالاماس في شأن سماع هيرودوس ليوحنَّا بسرور. قال: «ما كان يقوله الإنجيلي مرقس إنَّ هيرودوس كان يسمع ليوحنَّا معناه: في الأدوية يحصل ما يناقض التَّعاليم الرُّوحيَّة. نشعر بمرارة الدَّواء لكنَّنا نتناوله بداعي فائدته. أمَّا فيما يتعلَّق بالتَّعاليم الرُّوحيَّة فهي عذبة لكنَّ الذين يشتعلون بالرَّغبات الشِّرِّيرة لا يتقبَّلونها بسبب عداوتها لهم. ربَّما كان هيرودوس يسمع له في البداية (مرقس ٦: ٢٠)... لكنَّه كره التَّوبيخ فَنَسِيَ النَّصائح الأوَّليَّة واتَّفق مع هيروديَّا من أجل القتل. وكان يخاف من الجمع (متّى ١٤: ٥)، لا بسبب إمكانيَّة ثورتهم بل بسبب مجرَّد حُكمهم عليه، لأنَّهم كانوا يعتبرونه نبيًّا. كانت فضيلة يوحنَّا المعمدان مشهورة وكان هيرودوس يحبُّ المجد، فخاف من حُكم الجمع، لذلك كان يقدِّم المديح ليوحنَّا ظاهريًّا.

وفي حديث القدِّيس غريغوريوس عن المجد الباطل وتأثيره فينا يقول: «يعاني ذهننا (Nous)... هذا المرض! فمع أنَّهُ أُبْدِعَ من الله مَلِكًا ومتسلِّطًا على الأهواء، عندما ينجذب... من المجد الباطل... يُقاد إلى أعمال شاذَّة وعواقب وخيمة. هكذا فإنَّ كُلَّ واحدٍ، مستعبَد للخطيئة والشَّهوات، عندما يُوبَّخ من ضميره يتضايق أوَّل الأمر. لذا يحبسه (يحبس ضميره)، بمعنى، كما فعل هيرودوس بيوحنَّا رافضًا أنْ يسمع له، غير مريد أن يتَّبع الأقوال النَّاهية عن الخطيئة. وعندما تتسلَّط عليه الشَّهوات بحضور هيروديَّا، وهي **فكر الخطيئة الكامن في النَّفس**، عندها تنتزع الشَّهوات هذه ،كلام النِّعمة المزروع في النَّفس أي الضمير، فتقضي عليه وتقتله نقضًا للكتاب المقدّس ولكلمة الله كما حصل لهيرودوس بالنِّسبة ليوحنَّا».

ملحوظة:

يُذكر أنَّ قطع رأس السَّابق جرى في قلعة ماخيروس بقرب البحر الميّت.

في النهاية نُفي هيرودوس الملك إلى ليون في فرنسا سنة ٣٩م وإلى هناك تبعته هيروديَّا.

كما يُشار إلى أنَّ عيد قطع رأس السّابق المجيد جرى الاحتفال به، أوّل الأمر، في القسطنطينيّة وبلاد الغال (فرنسا) ثمّ انتقل إلى رومة. وهو يوم صوم بخلاف سائر الأعياد. في قنداق الاحتفال بعيده تُرتِّل الكنيسة فيما ترتّل: «إنّ قطع رأس السّابق المجيد صار بتدبير إلهيّ ليكرز للذين في الجحيم بمجيء المخلّص...».

طروبارية السَّابق المجيد يوحنا المعمدان: باللحن الثاني:

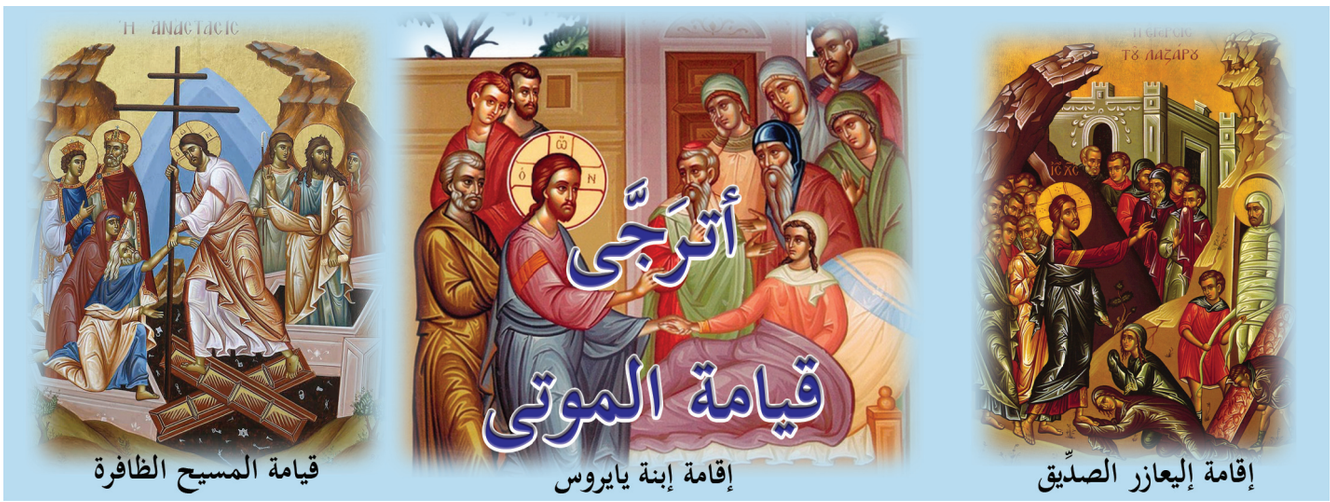
إنَّ ذكر الصديِّق بالمديح، فأنت أيُّها السابق تكفيك شهادة الرَّبّ، فأنك ظهرتَ في الحقيقة أشرفَ كل الأنبياء، إذ استحققت أنْ تُعمّد في المجاري الذي كرزوا هم بهِ. ومن ثمّ ناضلتَ عن الحق وبشَّرت مسرورًا، الذين في الجحيم بظهور الإله متجسّدًا، يَرفع خطيئة العالم، ويمنحنا عظيم الرحمة .

قنداق المجيد يوحنا المعمدان باللحن الخامس:

إنَّ قطع رأس السَّابق المجيد كان بتدبيرٍ إلهي. ليكرز للذين في الجحيم ايضًا بمجيء المخلِّص. فلتنتحب هيروديا باكيةً لطلبها القتل الأثيم. فانَّها لم تُؤْثِر شريعة الله ولا الحياة الأبدية. بل الحياة المبهْرَجَةِ الوقتيَّة.

«لأجلنا تجسَّد الرَّبُّ، تألَّمَ، صُلِبَ، مات ثم قام من الأموات، وإنَّهُ من أجلنا أيضًا زيَّنَ أُمَّهُ الكليَّة الطهارة العذراء مريم بكُلِّ الفضائل ومنحها كُلَّ القوى المقدسة، حتى تكون هي الشفوقة الرحيمة بعد نفسه في كل شيء لنا. ولذلك لا تدع نعمة الله التي ملأت سيِّدتنا تذهب سُدى ولا تُثْمِرُ فينا. دعنا نتقدم بجرأة وثقة من العذراء الدائمة المساعدة والسريعة الاستجابة والحامية لمكرميها »

القديس يوحنا كرونشتادت



إقامة إليعازر الصدِّيق | إقامة إبنة يايروس | قيامة المسيح الظافرة

أترجى قيامة الموتى

دير القديس يوحنّا المعمدان المقدس، كارياس، أتيكي، اليونان

إنَّهُ الحدَث المؤكَّد لدى كل واحدٍ منَّا بشكلٍ تامٍّ: **سيأتي الموت عاجلًا أم آجلًا**. ومع ذلك، بالنسبة لمعظم الناس، تبقى نهاية الحياة غير مرغوب بها إلى حدٍّ كبير، ويجب مقاومتها بحزم. هذا لأنَّنا خلال مسار حياتنا على هذه الأرض، لم نتغذَّ على توقُّع «**الآتي**» ولا نعتمد على حجر زاوية الرَّجاءِ **في المسيح**. كوننا أحفاد آدم، نتفاجأ بظاهرة الموت، لأنَّنا خُلِقْنَا بالتأكيد للحياةِ الأبديَّة. إنَّ رؤية جسد أحد الأحباء يرقد بلا نَفَس تحجب رجاءنا أيضًا.

اليوم، على وجه الخصوص، ينكبُّ الناس على ما يمكن رؤيته، وما يمكن إثباته في المختبر أو تقديمه كأمر مُسلَّم به، أمرٌ يتخطَّى الشكّ. هذا هو سبب فقدهم لكل الاهتمام بما يحدث بعد الموت، وعلى وجه الخصوص بما أمات بداخلهم كُلَّ رجاء بالقيامة والخلود.

يشير **القديس يوحنا الذهبي الفم** إلى الظاهرة الغريبة التالية: «يستثمر الزَّارع رزقه في الأرض الطريَّة التي يحرثها بعمق ويغذِّيها بوفرة بالبذور الجيِّدة والرَّجاء. حقيقة أنَّ البُذور سوف تتعفَّن وتختفي لبعض الوقت، لا تعنيه بطريقة سلبية، ولا تحرمه من توقُّعه لنموٍّ جديد وحصاد جيِّد. ولكن عندما يتعيَّن علينا وضع جسد هامد لشخص نحبه في الأرض المفلوحة حديثًا، فإنَّنا لا نشعر بنفس الأمل واليقين مثل الزَّارع.». من ثمَّ، فإن غياب العلامات الخارجيَّة للحياة يتساوى مع خسارة لا رجعة فيها. هذا لأنَّنا لا نملك في داخلنا رؤية «الربيع الأبدي» وفرحة توقع ذلك اليوم الذي نشتاق إليه والذي «لا يعروه مساء». لقد صار أُناس «**هذا العصر**» أحاديِّي البُعد لدرجة أنهم اعتادوا على تعريف كل شيء من خلال القوانين الطبيعية.

هذه المأساة البشريَّة، التي تتخذ أشكالًا مختلفة في أوقات مختلفة، لها نقطة انطلاقها يوم سقوط آدم وحواء «**الذي لا يصحُّ ذكره**». بعصيانهما، قطعَا علاقتهما بـ «مصدر الحياة»، وسقطا من جمال شِبه الله وصارا وجهًا لوجه، مرَّة واحدة وإلى الأبد، مع **نتانة الموت**.

يكشف لنا الكتاب المقدس **الشيطان، المصدر الشرير، «مخترع» الموت**. ومع ذلك، لا يُؤمن الناس، وهم «أغبياء وبطيئو القلوب» (لوقا ٢٤:٢٥). إنهم لا يقبلون بسهولة قيامة **المسيح**، لذلك قول الملاك: «قَدْ قَامَ! لَيْسَ هُوَ هُهُنَا.» (مرقس١٦:٦)، لا يعني شيئًا لهم ولا يُطَمْئِنُهُم من جهة قيامتهم.

إلى حَدٍّ كبير، يتركَّز **عدم الإيمان** بين الناس اليوم على قيامة الأجساد. هذا لأنهم لا يعرفون أنَّ الموت، هذا «العقاب اللطيف» كان له تأثير وقوَّة مُدَمِّرة فقط حتى ذلك الفجر المتفائل في «أول الأسبوع» عندما وجدت النساء قبر **المسيح** فارغًا (مرقس ١٦:٢). لأنَّ **الرَّبَّ القائم** قد أطاح بالموت و «فتح أبواب الفردوس مرة أخرى». في ذلك الفجر، عبَرَ آدمُ المنفِيُّ بابتهاجٍ إلى الجانب الآخر، وداس على الصليب، على «جسر الحياة»، متَّبِعًا الكلمة القائم من بين الأموات والإله.

إنَّ آلام **المسيح** وقيامته هما حدثان مترابطان ومُكمِّلان لبعضهما البعض، وهما تتويج لنشاطه الفدائيّ على الأرض. كما أنَّ قيامة **المسيح** هي ملازمة لموته على الصليب، كذلك، عبورنا من حياتنا الأرضيَّة إلى الأبديَّة ليس فناءً، بل تجاوزًا للفساد الأرضي و «ارتداءً لحلة عدم الفساد».

إنَّ قيامة الأموات هي حقيقة أساسيَّة في إيماننا. يقول القديس بولس إنَّهُ **بدون يقين قيامتنا، إيماننا لا معنى له وباطل** (١كورنثوس ١٥:١٧): « فَإِنْ لَمْ تَكُنْ قِيَامَةُ أَمْوَاتٍ فَلاَ يَكُونُ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ! وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلَةٌ كِرَازَتُنَا وَبَاطِلٌ... وَلكِنِ الآنَ قَدْ قَامَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ وَصَارَ بَاكُورَةَ الرَّاقِدِينَ. فَإِنَّهُ إِذِ الْمَوْتُ بِإِنْسَانٍ، بِإِنْسَانٍ أَيْضًا قِيَامَةُ الأَمْوَاتِ. لأَنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ، هكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ. وَلكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ فِي رُتْبَتِهِ: الْمَسِيحُ بَاكُورَةٌ، ثُمَّ الَّذِينَ لِلْمَسِيحِ فِي مَجِيئِهِ». (١ كورنثوس ١٥:١٣-٢٣).

فالموت إذن، قد هُزِمَ بشكلٍ قاطع، وقيامة الأموات أمرٌ مفروغٌ منه. هذا هو السبب في أنَّ آباءنا القديسين يتحدثون بيقين عن الربيع الذي من المؤكد أنَّهُ سيتبع **فساد الشتاء**، الفساد والتحلُّل الناجم عن موتنا في الجسد.

بالتأكيد سنعيش مرَّةً أخرى في الجسد، ولكن «بِهَيْئَةٍ أُخْرَى» (مرقس ١٦:١٢). سنقوم ولنْ يخضع أحدٌ منَّا من ثم **لقانون الفساد والفناء**. محادثة **إرميا مع الله** دقيقة للغاية هنا. الكلمة التي أتت من

الرَّبِّ إلى إرميا قائلة: «قُمِ انْزِلْ إِلَى بَيْتِ الْفَخَّارِيِّ وَهُنَاكَ أُسْمِعُكَ كَلاَمِي». فَنَزَلْتُ إِلَى بَيْتِ الْفَخَّارِيِّ، وَإِذَا هُوَ يَصْنَعُ عَمَلاً عَلَى الدُّولاَبِ. فَفَسَدَ الْوِعَاءُ الَّذِي كَانَ يَصْنَعُهُ مِنَ الطِّينِ بِيَدِ الْفَخَّارِيِّ، فَعَادَ وَعَمِلَهُ وِعَاءً آخَرَ كَمَا حَسُنَ فِي عَيْنَيِ الْفَخَّارِيِّ أَنْ يَصْنَعَهُ. فَصَارَ إِلَيَّ كَلاَمُ الرَّبِّ قَائِلاً: «أَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَصْنَعَ بِكُمْ كَهذَا الْفَخَّارِيِّ يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ، يَقُولُ الرَّبُّ؟ هُوَذَا كَالطِّينِ بِيَدِ الْفَخَّارِيِّ أَنْتُمْ هكَذَا بِيَدِي يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ.» (ارميا ١٨:٢-٦).

المهم هو أنَّ الخزاف هو أبونا القدير الذي من قبل الدهور، الكليّ الصَّلاح. لهذا نعلّق رجاءنا عليه حتى من هذه الحياة هنا، كتذوُّق مُسْبَق للحياةِ الأبديَّة وملكوته خارج الزَّمان.

إذن، قيامة الأموات ستتمُّ بالتأكيد. سيرتفع صوت بوق الملاك بالتأكيد (رؤيا ١١:١٥-١٨). لكن المهم بالنسبة لنا هو أنَّنا يجب أنْ ننجز شيئًا في حياتنا على الأرض من أجل تقديس نفوسنا وأجسادنا، حتى لا تكون القيامة **«للدينونة»** بالنسبة لنا، بل «إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ» (متى ٢٥:٤٦).

إنَّ لذكر الموت واليقظة والتَّهيُّؤ المستمر لخروجنا الوَشيك من العالم إلى الفردوس، فائدة خاصة لنا في هذا الاستعداد. إنَّ ذكر الموت يُنعش الرُّوح وينمّي وجودنا، ملزمًا إيَّانا على الطريق الذي لا ينتهي «مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ» (٢ كورنثوس ٣:١٨). ينسجم ذكر الموت أيضًا مع رغبة الخليقة كلّها، التي على الرَّغم من أنها كانت تئن في آلام المخاض حتى الآن (رومية ٨ ، ٢٢) ، إلَّا أنها لا تزال تتغذى بالرَّجاء وتنتظر تحررها و«ما وراء» الأبدي.

إن المشهد الصوفي لـ **«الضفة المقابلة»**، لوطننا الأبدي، يحصّننا على الطريق نحو التقدُّس وفي جهودنا لإعداد أنفسنا، قدر استطاعتنا، لهذه «اللحظة العظيمة»، اللقاء الرؤيوي مع «المحبوب الوحيد».

إلى ذلك فإنَّ توقُّع انتقالنا إلى وطننا السَّماوي الحقيقي هو تشجيع لنا على تطوير علاقات أوثق مع مواطني السماء: الملائكة القديسين، كما مع إخوتنا وأخواتنا الذين تمجَّدوا، والذين عاشوا في الرَّبِّ ورقدوا على رجاء الحياة الأبدية. لأنَّ الملائكة القديسين وآباءنا وإخواننا الذين رحلوا عن هذه الحياة بالفعل يراقبون جهادنا ويدعموننا بمحبةٍ بشفاعاتهم المقدسة لدى مانح حياتنا وراعيها.

إنَّ ذكر الموت وحفظ الوصايا وعلاقتنا بالعالم الملائكي والمنتقلين عنا تؤدي إلى تناقص مستمر في الأنَا. إنها تساعدنا أيضًا على قطع إرادتنا وإخضاع حياتنا ووجودنا بالكامل لمشيئة الله. أخيرًا، إنها تقوينا في تقبُّلنا لوفياتِ أحبائنا، وفي الوقت نفسه، تشجعنا على الاهتمام بأنفسنا والاستعداد بجدِّية أكبر لمسألة انتقالنا.

عندما تتجه بوصلة حياتنا نحو مقصدنا، يفقد مفهوم الموت طبيعته المهدِّدة ويتحول إلى **«منظر ما هو غير مرئي»**، إلى امتدادٍ لوجودنا إلى أبدية الله، وفي النهاية إلى توقُّع تلك اللحظة الفريدة من نوعها التي ستأخذنا إلى «عيدنا العظيم».

إذا كان كُلُّ هذا في مكانه، فإنَّ حياتنا تكتسب معنًى مختلفًا ونسرع لتكميل توبتنا **وجعل أنفسنا أوعية لميرون الحياة الجديدة**. لأنَّ كل واحد منا يعرف أنه في ذلك الوقت، سيُستَعلَن كل شيء وستُكشَف جميع أعمالنا، كل النسيج الذي حيك خلال حياتنا على زيغ، صورة الله التي فيها خلقنا.

بالنسبة لأبناء **المسيح** الحقيقيِّين، الموت هو عيد عظيم، استعدادًا له نجاهد ونعمل كل أيام حياتنا. إنَّ الجهاد للتهيئة لهذا العيد يحرّك أيضًا روح التوبة واليقظة واستعداد العذارى الحكيمات في المثل. كما أنه يجعلنا كائنات تسبيح وشُكر، خاصة في أوقات الألم وفي ضيقات الحياة. على هذا المنوال، يكون للمؤمنين تذوُّق مُسبَق للملكوت الآتي وفرحٌ ببعدهم الأبدي في **المسيح** واعتراف بأنَّ «تَأْتِي سَاعَةٌ، وَهِيَ الآنَ» (أنظر يوحنا ٤:٢٣). إلى هذا، فإنَّ هذا الموقف من الحياة يُحَوّل الزَّمن الحالي إلى جسرٍ صَلْبٍ يُمَكِّنُ للمسيحيِّين أنْ يجتازوه بأمان ويدخلوا إلى مظلة أبنائه الأبدية، مظلة «الَّذِينَ أَتَوْا مِنَ الضِّيقَةِ الْعَظِيمَةِ» (رؤيا ٧:١٤).

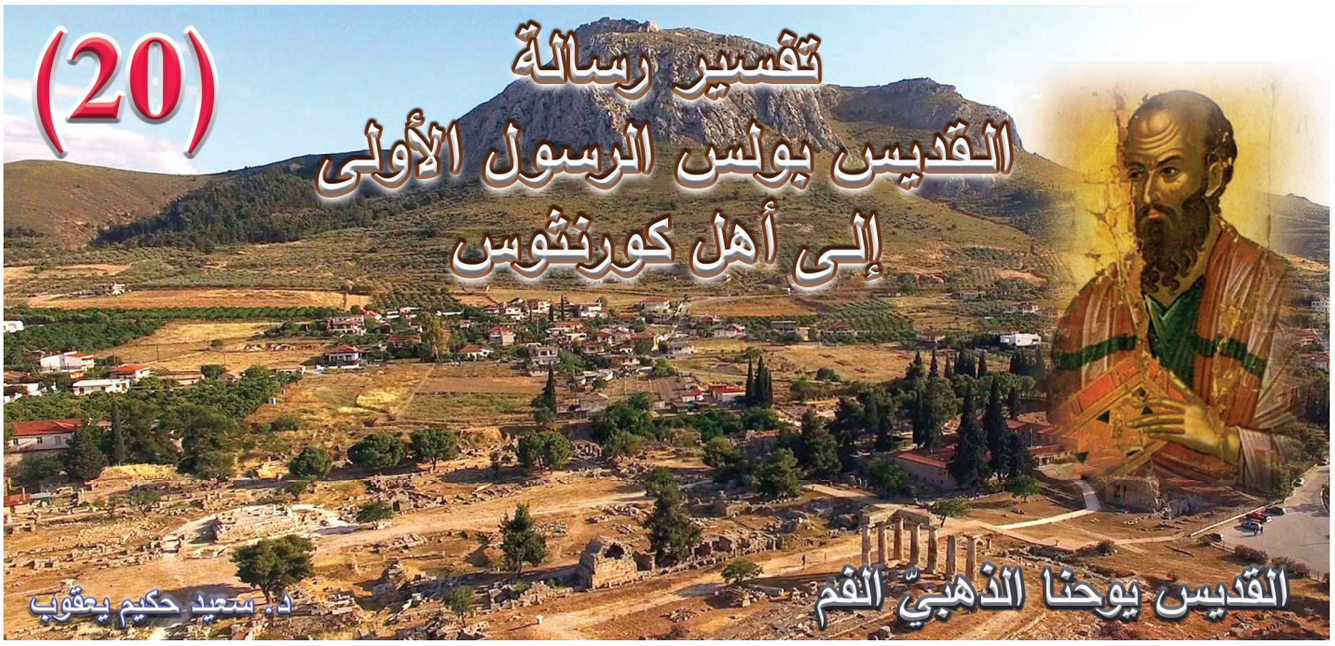
في نور الأبدية الذي لا يغرب، سيتم الكشف عن صورة حياتنا. عندها ستشرق أعمالنا وسيظهر الجهد الذي بذله كل واحد منا للحفاظ على محبته لله ولأخيه مصونة، وسيظهر الإيمان الذي لا تشوبه شائبة. هناك سنرى مقدار صبرنا. سوف يتَّضح من ثمَّ ما إذا كُنَّا قد عملنا مثل «الْوَكِيلُ الأَمِينُ » (لو١٢:٤٢) على أرضيَّة صورة الله التي أنعم علينا بها **الآب** الخالق الكلي الصلاح عندما أخذنا كياننا منه، مع إمكانية أنْ نكون أولاده في كُلِّ الأبديَّة (يوحنا ١:١٢).

كل شيء إذن، يجب تفسيره من منظور ما بعد القبر. على غرار الحياة الروحيَّة، تبدأ حلاوة ثمار جهادنا في الظهور بعد أن نقبل بالفعل صليبنا الشخصي ونتخلَّى عن إرادتنا، لذلك أيضًا، تصبح المسرات الأبدية والخالدة مرئيَّة بشكل أساسي عندما نخترق حاجز الأنا الأخير عندنا. بعبارة أخرى، عندما **«في كل شيء ومن جهة كل شيء»**، نودِع جسدنا وروحنا في يديه كتقدمة أخيرة لشكر مَن أعطانا الحياة والحرية كهدايا ثمينة و«هِبَاتِ بِلاَ نَدَامَةٍ» (رومية ١١:٢٩).

إذا عاش المؤمنون وتقدَّموا في هذه الخبرات، يمكنهم حينئذٍ الوقوف في وجه قَسْوَةِ هذه الحياة ومُعضِلاتها، لا محاولةً لتجنُّبها، بل إكرامًا لصليبهم ومقاربة لكُلِّ أحزان الحياة مثل لمس «هُدْبَ ثَوْبِهِ» (متى ٩:٢٠). وبهذا، يحصل المؤمنون على تذوُّق مُسبَق للاحتفال السَّماوي العظيم، فلا يتحمَّلون بصبر وحسب كُلَّ حزنٍ ومحنة، بل أيضًا يرغبون، أو بالأحرى يسارعون إلى الوصول إلى وطنهم الأبدي (القديس إغناطيوس المتوشح بالله).

بعبارة أخرى، إنَّ موت الجسد ليس النهاية بل البداية. إنَّهُ الولادة لحياةٍ جديدة أعطانا إياها **المسيح** بصليبه وقيامته المقدسة.

من بعد **المسيح**، لم يعد المؤمنون يحزنون على الذين انتقلوا من هذه الحياة، ولا يهتمون بما سيحدث عندما يتركون وراءهم الأشياء الزائلة على هذه الأرض. إنهم يعيشون ببساطة لكي يتقدَّسوا، من أجل سيِّدهم الذي تألَّم وقام، وهم يرتلون بفرح في كل الأوقات: «**المسيح قام**».



الإصحاح الثالث

العظة الثامنة (١كو٣: ١-١١)

«فَمَنْ هُوَ بُولُسُ؟ وَمَنْ هُوَ أَبُلُّوسُ؟ بَلْ خَادِمَانِ آمَنْتُمْ بِوَاسِطَتِهِمَا، وَكَمَا أَعْطَى الرَّبُّ لِكُلِّ وَاحِدٍ» (١كو ٣: ٥).

أيْ أنَّهُ بعد استقرار الأمور وإصلاحها، بدأَ بعد ذلك في صياغة وطرح الاتهام بصورةٍ أوضح. ثُمَّ يذكر اسمه، لكي ينزع كُلَّ المشاعر المُتَقَسِّية، ولم يسمح أنْ يُقابلوا ما قاله بخشونة وغضب. لأنَّهُ إنْ كان وضع **بولس** ومكانته ليست بالقدر المهم، وليس له أنْ يغضب لأجل هذا (الانشقاق)، فبالأكثر من ذلك بكثير، لم يكن لأولئك أنْ يغضبوا. إذًا فقد دَعَمَهُم بطريقتين.

أ) – بأن ذَكَرَ اسمه.

ب) – أيضًا لم يَشَأ أنْ يحرمهم من كُلِّ شيء، بل منحهم قدرًا يسيرًا من الخيرات، على الرغمِ مِنْ أنَّهم لم يُحقِّقوا أيَّ شيء. لأنَّهُ بعدما قال: **«فَمَنْ هُوَ بُولُسُ؟ وَمَنْ هُوَ أَبُلُّوسُ؟»** أضاف: **«بَلْ خَادِمَانِ آمَنْتُمْ بِوَاسِطَتِهِمَا»**. وهذا بحدِّ ذاته عملٌ عظيم ويستحقُّ مجازاةً كبيرةً، لكنه يُعتبر لا شيء إذا ما قورن بأصلِ الخيرات. لأنَّ المُحسِنَ ليسَ هو مصدر الخيرات، بل هو ذاك الذي يُقدِّم الخيرات. ولم يَقُل «مُبَشِّران»، بل قال: «خادمان»، الأمر الذي يُعَدُّ أكثر من مجرَّد التبشير. أنَّهما لم يكتفيا بالبشارة، بل خدمونا، لأنَّ البشارة محصورة في خدمة الكلمة، بينما الخدمة هي عمل. فلو كان **المسيح** مجرَّد خادم للخيرات، وليس هو جذر ومصدر الخيرات، خاصَّةً وأنَّهُ ابنٌ، فإنَّ هذا بحدِّ ذاته سيقودنا إلى الانحراف عن الفكر المستقيم.

تتمة من عدد شهر آب

٣– إذًا كيف سَيَدَّعِي أحدٌ ويقول إنَّ **المسيح** وُجِدَ خادِمٌ للختان. «وَأَقُولُ: إِنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ قَدْ صَارَ خَادِمَ الْخِتَانِ، مِنْ أَجْلِ صِدْقِ اللهِ، حَتَّى يُثَبِّتَ مَوَاعِيدَ الآبَاءِ.» (رومية ١٥: ٨). إنَّ ما قَصَدَهُ **الرسول بولس** في رسالته إلى رومية، هو التدبير حسب الجسد، وليس بالأُسلوب الذي نعنيه هنا. فهناك (في الرسالة إلى رومية)، يدعو ذاك الذي حَقَّقَ الوعد بالخيرات، خادِمًا، وليسَ ذاكَ الذي قَدَّمَ الخيرات. أيضًا هو لم يَقُل خادمان قد أرشدَكُما إلى الإيمان. بل قال: «خادمان آمنتم بواسطتهما»، أي أنَّهُ أعطَى المبادرة في العمل والخدمة للخُدَّام، إذْ هُم أدوات في يَدِ اللهِ لتتميم مشيئته. إذًا مادام أنَّهم قد خُدِموا بمعونَةِ آخر، فكيفَ اغتصَبَ هؤلاء هذا الاستحقاق؟

إنتبه إلى أنَّهُ لم يتَّهم أحدًا من الخُدَّام بأنَّهُ اغتصَبَ شيئًا، بل إنَّ أولئك (أهل كورنثوس)، هُم الذين أعطُوا الدَّافع، لأنَّ سبب الخطأ يُنسَب للعامَّةِ، ولو أنَّ أولئك قد تركوا الإيمان، لكان هؤلاء الخُدَّام قد إنفَضُّوا عنهم. إذًا فقد حقَّقَ أمريْنِ بطريقَةٍ حكيمة:

١– من ناحية استطاع أنْ يستأصل هذه **الخطيَّة (الحَسَد)** من حيث ينبغي أنْ ينتزعها من جذورها.

٢– ومن ناحية اخرى استطاعَ أنْ يمنع البُغضَة مِنْ أنْ تُسَيطر عليه تُجاه هؤلاء، بل وأنْ يَحُدَّ من رغبتهم في المشاحنات والنزاعات.

ثمَّ يقول:

«وَكَمَا أَعْطَى الرَّبُّ لِكُلِّ وَاحِدٍ» (١كو ٣: ٥).

أي أنَّ هذا القَدر البسيط من الخدمة، لا يعود إلى قُدراتنا، بل هو **عمل الله**، ولكي لا يقولوا ماذا إذًا؟ أَلا يجب أن نَمْتَنَّ لأولئك الذين خدمونا؟ يَرُدُّ عليهم **الرسول بولس** قائلًا: نعم، لكن ينبغي أنْ تعرفوا إلى أيِّ حَدٍّ يكون الامتنان، لأنَّه حتى هذا القليل الذي يقدِّمه هؤلاء الخدَّام، لا يأتي منهم، بل **من الله** الذي أعطاهم ما يخدمون به.

«أَنَا غَرَسْتُ وَأَبُلُّوسُ سَقَى، لكِنَّ اللهَ كَانَ يُنْمِي.» (١كو ٣: ٦).

أي أنَّ الرسول بولس قد ألقَى أوَّلًا **كلمة الله**، ولكي لا تجفّ البذور من التجارب، فإنَّ أبُلُّوس أكمَلَ ما ينبغي عليهِ من عمل، لكن **الله** هو الذي يعمل كُلَ شيء.

«إِذًا لَيْسَ الْغَارِسُ شَيْئًا وَلاَ السَّاقِي، بَلِ اللهُ الَّذِي يُنْمِي.» (١كو ٣: ٧).

أرأيتَ كيفَ يُعزِّيهم، حتى لا يصيروا قُساة القُلوب، بأن يسمعوا مَن هو بولس ومَن أَبُلُّوس؟ لأنَّ كِلا الأمرين يُثير الانزعاج، أنْ يقول أحدٌ، مَن هو هذا ومَنْ هو ذاك؟ وأن يقول: «لَيْسَ الْغَارِسُ شَيْئًا وَلاَ السَّاقِي». وكيفَ خفَّفَ مِنْ هذه الأمور؟ بأنْ قَدَّمَ هذا العمل القليل في شخصه، قائلًا: «مَنْ هُوَ بُولُسُ؟ وَمَنْ هُوَ أَبُلُّوسُ؟» ، وأنْ ينسب كُلَّ شيء إلى الله الذي يفعل كُلَّ شيء. إذ قال: إنَّهُ غرسَ، وبعدما أضافَ: «لَيْسَ الْغَارِسُ شَيْئًا»، أكمَلَ: «اللهُ الَّذِي يُنْمِي». ولم يتوقَّف عند هذا الحدّ، بل خرجَ بنتيجةٍ جديدة أيضًا، قائلًا:

«وَالْغَارِسُ وَالسَّاقِي هُمَا وَاحِدٌ، وَلكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ سَيَأْخُذُ أُجْرَتَهُ بِحَسَبِ تَعَبِهِ.» (١كو ٣:٨).

وهو بهذا القول يُعَلِّم شيئًا آخَرَ، وهو ألَّا يفتخر أحدٌ على الآخر. ما يقوله هنا، هو أنَّهما (أي بُولُس وأَبُلُّوس)، واحد من حيثُ أنَّهما لا يَقدِران أنْ يفعلا إيّ شيء بدون الله الذي يُنَمّي العمل. ولذلك فإنَّه لا يَحِقُّ لأولئك الذين تعبوا كثيرًا، أنْ يغضبوا على مَن قَدَّمَ القليل، ولا هؤلاء الذين قَدَّموا القليل، أنْ يحسدوا الذين قَدَّموا الكثير وتَعِبُوا في سبيلِ تحقيق ذلك.

ونظرًا لأنَّهم اعتقدوا أنَّ الجميع لهم نفس المُجازاة، سواء الذين قَدَّموا الكثير أو الذين قَدَّموا القليل، وهذا قد جعلهم أكثر خمولًا وَكَسلًا، فلاحظ كيف صَحَّحَ هذا الأمر بقوله: « وَلكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ سَيَأْخُذُ أُجْرَتَهُ بِحَسَبِ تَعَبِهِ».

وبعدما نجَحَ في تحقيقِ ما أراده، خفَّفَ أو لَطَّفَ من لهجته الشَّديدة، وأَظهَرَ أحشاءَ رأفة ووداعة كبيرة، وبالأكثر تُجاه أولئك الذين ينشطون بقوَّة.

ثمَّ يقول:

«فَإِنَّنَا نَحْنُ عَامِلاَنِ مَعَ اللهِ، وَأَنْتُمْ فَلاَحَةُ اللهِ، بِنَاءُ اللهِ.» (١كو ٣:٩).

أرأيتَ كيفَ أنَّهُ نَسَبَ إلى هؤلاء عملًا ليسَ هَيِّنًا، فبعدما برهَنَ على أنَّ كُلَّ شيء يُنسَب إلى عمل الله. ولأنَّه كان ينصح بالخضوع دومًا لقادة الخِدْمَة، لذلك لم يُلْغِ عمل العاملين بصفةٍ نهائيَّة. «أَنْتُمْ فَلاَحَةُ اللهِ»، إي أنَّهُ أَصَرَّ على التغيير الذي حدثَ، لأنَّهُ قال: «أَنَا غَرَسْتُ ». ومادمتم أنتم فلاحة الله، فمن الصوابِ والعدل ألَّا تُدعَوْن بآسم أولئك الذين غرسوا، بل تُدعَوْن بآسم الله. لأنَّ الفلَّاح لا يأخذ آسمه من ذاكَ الذي يُشَغِّلُهُ، بل من آسم صاحب الأرض.

«أَنْتُمْ بِنَاءُ اللهِ.»، أيضًا فالبناء ليس للعامِل الذي يقوم بالبناءِ، بل هو مِلكٌ لصاحبه. وإنْ كُنتم بناء، فلا ينبغي أنْ يكون فيكم آنشقاقات، لأنَّهُ هكذا، لا يُعتَبر بناء. فإنْ كنتُم «فَلاَحة اللهِ»، فيجب ألَّا يكون بينكم آنقسامات، بل يجب أنْ تُحَوِّطوا أنفسكم بسياج، وأعني سياج الوفاق.

ثمَّ يُكَمِّل قائلًا:

«حَسَبَ نِعْمَةِ اللهِ الْمُعْطَاةِ لِي كَبَنَّاءٍ حَكِيمٍ قَدْ وَضَعْتُ أَسَاسًا، وَآخَرُ يَبْنِي عَلَيْهِ. وَلكِنْ فَلْيَنْظُرْ كُلُّ وَاحِدٍ كَيْفَ يَبْنِي عَلَيْهِ.» (١كو ٣:١٠).

لقد دَعا نفسه هُنا حكيمًا، ليس من قَبيل الزَّهوِ والكبرياء، بل إنَّهُ يُقَدِّم لهؤلاءِ نموذجًا، ويبيِّن لهم أنَّ ملمحَ أو سِمَةَ الحكيم، هو أن يَضَع الأساس.

إنتبه إذًا كيف يتحدَّث بتواضع، لأنَّه بعدما تكلَّمَ عن نفسه كبنَّاء حكيم، لم يترك مجالًا لأنْ يُفهَم أنَّ هذه الحكمة، هي من داخله، بل إنَّهُ بعدما سَلَّمَ نفسه بالكامل إلى الله، حينئذ دَعا نفسه حكيمًا. إذ يقول: «حَسَبَ نِعْمَةِ اللهِ الْمُعْطَاةِ لِي». أي أنَّهُ في ذات الوقت يُبرهن على أنَّ كُلَّ شيء هو من الله، وأنَّ عدَم الآنقسامات بحدِّ ذاتِه يُعَدُّ نعمة كبيرة، وأنَّ كُلَّ العمل يستند على أساس واحد. يقول: «قَدْ وَضَعْتُ أَسَاسًا، وَآخَرُ يَبْنِي عَلَيْهِ. وَلكِنْ فَلْيَنْظُرْ كُلُّ وَاحِدٍ كَيْفَ يَبْنِي عَلَيْهِ.». أعتقد أنَّهُ هنا قد أدخَلَ هؤلاء بعدما وَحَّدَهم وجعلهم واحدًا في حلبة الجهاد الرُّوحي.

ثمَّ يقول:

«فَإِنَّهُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَضَعَ أَسَاسًا آخَرَ غَيْرَ الَّذِي وُضِعَ، الَّذِي هُوَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ.» (١كو ٣:١١).

بطبيعة الحال، هذا الأمر غير ممكن (أي وضع أساس آخر)، ما دامَ الباني موجود، لكن إن كان الأساس قد وُضِعَ، فلا حاجة للباني بعد.

(يتبع في العدد القادم)

القديس سمعان من دياباي
مختارات من تعاليمه

فكّرْ دائمًا بروحِك، عندما تكون سعيدًا وعندما تكون في ضيق ومُعَاناةٍ. فكّر دائمًا بروحِك، سواء كنت تعيش في قلعة أو في كهف.

لا يمكنك خوض الحرب بدون بارود ورصاص، ولا يمكن عيشُ حياة مسيحيَّة بدون إيمان وعمل صالح.

ينبغي بَرْدٌ شديد حتى يتجمَّد النهر، وينبغي الكثير من الإيمان للحفاظ على الإيمان.

لا يطير الذباب فوق الحساء السَّاخن، ولا يقع البلاء على الإيمان القوي.

يحتاج الخياط إلى إبَرٍ وخيوط ليُخيط، بينما يحتاج الإنسان إلى الإيمان والمحبة ليخلِّص نفسه.

الصابون والماء يطهّران الثياب، بينما الإيمان والأعمال ينقذون الرُّوح.



من أقوال القديس بورفيريوس الرَّائي



عن المرض

قال لأحد أبنائه الرُّوحيين: أتعلم ماذا ينبغي أنْ تعمل عندما تكون مريضًا؟ أنْ تتضرع إلى اللهِ لكي يغفر لك خطاياك، والله الذي يسمع صلاتك الصادرة بروح متَّضع منسحق، سوف يغفرها لك. ولكن آنتبه، لا تصلِّ بموارية. أي لا تقل يا ربُّ آغفر لي خطاياي وأنت تفكِّر في أمراضك وآلامك الجسديَّة، ولا تتلُ هذه الصلاة من أجل شفاءِ جسدك. لأنَّ صلاةً كهذه لا توصل إلى نتيجة مُرْضِيَةٍ. بل آنسَ أمراضك أثناء الصلاة واقبلها وكأنها قصاص وسبب لغفران مآثمك ثم آتكل بعد ذلك على مشيئة الله. وبكلام آخر صَلِّ بنقاوةِ فكرٍ من أجل غفران خطاياكَ فقط، وعندئذ سوف تتحسن حالتك الصحية تلقائيًّا.

عندما لا تنفع الأدوية في العلاج الجسدي، يكون عندئذ المرض نفسياً لا جسدياً. والمرض النفسي لا يُشفى إلا بالاقتراب من المسيحِ فقط، لأن المسيح هو طبيب الأنفس الحقيقيّ الوحيد.

اليأس

– المؤمن لا ييأس... الكنيسة لا تعرف اليأس، مهما كانت الأسباب. ربما يمرُّ الإنسان بظروفٍ محزنة تثقِّل عليه، لكنَّه لا ييأس... آعترف بخطاياك والله قادر أنْ ينتشلك.

– الحساسيَّة الزَّائدة خطأٌ كبير، لأنَّ المرءَ بالضِّيق الَّذي يتكبَّده بسبب الحساسيَّة، يخلق شتى أنواع الأمراض النفسيَّة، والأمراض النفسيَّة هذه هي من **الشيطان**.

– إعلم يا بُنيَّ ألَّا شيء يحصل بالصُّدفة. لكلِّ تفصيل في حياتك هدف. ولا شيء يحصل من دون سبب، لا تسقط قشَّة من الشجرة من دون إذنه. وعندما تتكدَّر من المتاعب كثيرًا يهبك الرَّبُّ الإله في الوقت المناسب ما لم يكن في الحسبان، بالطريقة الَّتي هو يحبُّنا فيها ويعتني بنا كأَبٍ بأولاده.

محبّة المسيح والقريب

الحياة من دون المسيح، ليست حياة. هذا كلُّ ما عندي لأقوله لكَ؛ إذا كنت لا ترى المسيح في كلِّ أعمالِكَ وأفكارِكَ، فأنت تعيش بعيدًا عنه. هو كُلُّ شيء، هو الفرح، هو الحياة، هو النُّور، النُّور الحقيقي، الَّذي يُفَرِّح قلب الإنسان، ويعطيه جناحين ليطير، ليرى كُلَّ شيء، ليتألَّم من أجل الكُلِّ، ويرغب في أنَّ كُلَّ إنسانٍ يكون معه في هذا الفرح بقرب المسيح.

– حُبُّنا للرَّبِّ الإله يجب أنْ يكون عظيمًا دون أي سهوٍ. يخال لي أنَّ الإنسان يملك بطَّارية فيها كمية من الطاقة. إذا ما فرَّغ هذه الطاقة على أيِّ شيء آخر إلَّا حبُّه لإلهه، تضمحل الطاقة الَّتي يملكها حتَّى تكاد لا توجد بعد. ولكن إذا وظَّفَ كُلَّ الطاقة الَّتي يملك في خدمة الإله ومحبَّته فإنَّها تتكاثر. ليس هناك طريق متوسطة في المسيحيَّة، يجب أن نرتقي بحبِّنا للمسيح... عندها فقط كُلُّ شيء يصبح سهلًا.

– ما هو الفردوس؟! – المسيح... لا تهتم أنْ يحبَّك أحد. لأنَّك هكذا سوف تفشل. أنت فقط استزد من حبِّك للمسيح وللجميع، عندها، وبطريقة سرِّية، يأتي التحوُّل ويمتلئ كيانك.

– إختر دائمًا الكلمات اللطيفة لتقول أي شيء للآخر حتَّى لا تخلق جوًّا من العدائيَّة. فالَّذي يكذب مثلًا قُلْ له: إنَّه في بعض الأحيان ربما لا يقول الأشياء بدقة.

القدرة على العمل (التعب – الحركة)

– كان الشيخ بورفيريوس يشدّد كثيرًا على العمل خاصة للشباب. لم يكن يقبل أن يكونوا بطَّالين، فاترين أو قليلي الانتباه. كان يولي الأمر أهمية كبيرة... يجب على الإنسان أن يكون في حركة دائمة، مستعملًا جسده على الدوام لكي لا يصير رخوًا. لم يكن يقبل الكسل ولا الرَّخاوة.

في الصَّلاة

– بدون صلاة لا نستطيع أنْ نقوم بشيءٍ، الصَّلاة هي أمُّ كلِّ الفضائل، إذا تلوناها بتواضع القلب، من دون أية أنانيَّة، حبًّا بالمسيح.

توزّع هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

المحرّر المسؤول:
هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩
e-mail: light_christ@yahoo.com
http://lightchrist.org/bulletins.html

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة
في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:
IBAN: IL480127260000000111122